رسالة إسلامية منهجية جامعة

١٩

الأصالة

عودة إلى الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة

تصدر منتصف كل شهر هجري، ومرّة كل شهرين مؤقتاً

السنة الرابعة : العدد التاسع عشر

١٥/ذو القعدة/١٤١٩هـ

اقرأ في هذا العدد

الفتاوى	الشيخ المحدث محمد ناصر الدين الألباني
حوار العلماء	الشيخ الأستاذ محمد إبراهيم شقرة
الإعلام الإسلامي	الشيخ الدكتور صالح بن غانم السدلان
مباحث عقيدية	الشيخ الدكتور محمد بن عبدالرحمن الخميس
الكلم الطيب	الشيخ الدكتور عبدالعظيم بن بدوي
آفات على الطريق	الشيخ الدكتور محمد بن موسى نصر
السلفيون والسياسة	الشيخ سليم بن عبدالهلالي
تأملات قرآنية	الشيخ علي بن حسن الحلبي
من نفائس المخطوطات	الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان

رسالة إسلامية منهجية جامعة

١٩

الأصالة

عودة إلى الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة

تصدر منتصف كل شهر هجري، ومرّة كل شهرين مؤقتاً

السنة الرابعة : العدد التاسع عشر

١٥ / ذو القعدة / ١٤١٩هـ

أسرة التحرير

الدكتور محمد موسى آل نصر / رئيساً

الشيخ سليم بن عيد الهلالي / عضواً

الشيخ علي بن حسن الحلبي الأثري / عضواً

الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان / عضواً

ترخيص دائرة المطبوعات والنشر برقم ٤ / ٣ / ١٣٢٨

إنَّ الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿يا أيُّها الذين آمنوا اتَّقوا الله حقَّ تُقاته ولا تموتنَّ إلاَّ وأنتم مسلمون﴾ .

(آل عمران : ١٠٢)

﴿يا أيُّها النَّاس اتَّقوا ربَّكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبثَّ منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتَّقوا الله الذي تساءَلون به والأرحام إنَّ الله كان عليكم رقيباً﴾ .

(النساء : ١)

﴿يا أيُّها الذين آمنوا اتَّقوا الله وقولوا قولاً سديداً ، يُصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾ .

(الأحزاب : ٧٠ ، ٧١)

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كلام الله ، وخير الهدى هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل مُحدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

المحتويات

☐ فاتحة القول: هل جاعت فأكلت أولادها؟

التحرير ٥

☐ تأملات قرآنية: وما كان ربك نسياً

الشيخ علي حسن عبد الحميد ٧

☐ الكلم الطيب: اتق المحارم

الشيخ عبد العظيم بن بدوي ٨

☐ مباحث عقيدية: مع موالد بعض الأولياء

الدكتور محمد بن عبد الرحمن الخميس ١٥

☐ آفات على الطريق: طغيان القلم

الدكتور محمد موسى نصر ١٩

☐ الرأي الآخر: مناظرة أهل الكتاب

الشيخ سعد الحصين ٢١

☐ حوار العلماء: من أدب الرسائل ورسائل الأدب

الشيخ محمد بن إبراهيم شقره ٢٣

☐ كلمات في الدعوة والمنهاج: السلفيون والسياسة

الشيخ سليم بن عيد الهلالي ٣٢

☐ الإعلام الإسلامي: الإعلام الإسلامي في مواجهة التغريب

الدكتور صالح بن غانم السدلان ٣٥

☐ من نفائس المخطوطات: أمالي نظام الملك

الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان ٤١

☐ تزكية النفوس: إصلاح حديث النفس

سعد بن محمد آل عبد اللطيف ٤٧

المحتويات

☐ فقهاء آخر زمان

ابن الجوزي ٥٦

☐ مباحث فقهية: زخرفة المساجد وتزويقها

علي عبد العزيز الشبل ٥٧

☐ مباحث فقهية: أحكام فقهية تهم الحجاج والمعتمرين

الشيخ علي رضا بن عبد الله ٦١

☐ الكتب تعريف ونقد: بيان كذب ما ينسب إلى الإمام أحمد

سعد بن شايم العنزي ٦٤

☐ الفتاوى

العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني ٧٣

☐ مسك الختام: المخرج من المحنة

التحرير ٧٨

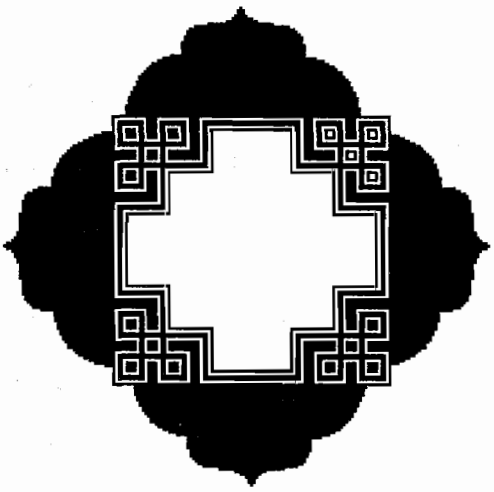

التحرير

هل جاعت فأكلت أولادها؟

□ هو مثل يضرب لمن فعل ما تفعله القطط بعد ولادتها ببعض أبنائها ؛ حيث تعمل على أكل بعضهم وهجر بعضهم الآخر . . . ويا له من مثل سيِّيء يضرب حين يتنكر الإنسان لقرابته وإخوته ولذوي الصحبة الطويلة ، والعشرة ، والعيش ، والملح ؛ كما يقال(!)

إننا نرى تآكلاً شَرِهاً داخل الكثير من الجماعات الدَّعوية حتى وصل الأمر ـ وللأسف الشديد ـ إلى من يدَّعون الانتساب إلى المنهج الحق ؛ منهج الكتاب والسنة ، وسبيل سلف الأُمة ، فانظر يميناً ترَ صراعات وخلافات شديدةً ، وارجع البصر شمالاً ترَ اقتتالاً ، وتضليلاً ، وتبديعاً ، فقلما يخلو مسجد من مساجد المسلمين من محن وإحن ، وفتن ومنازعات ، مع قول الله عز وجل : ﴿**ولا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وتَذْهَبَ رِيحُكُم**﴾ .

وقد وصف الله أصحاب نبيه بالرحمة ؛ فقال : ﴿**محمدٌ رسولُ اللَّه والذينَ مَعَه أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُم**﴾ .

وقال ﷺ : «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم ؛ كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر» .

ولئن كان الاختلاف قدراً كونياً للأمم والشعوب ؛ فإنَّ الله تعالى ذم أهله في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ؛ قال تعالى : ﴿**وَلاَ يَزالون مُخْتَلِفين إلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّك**﴾ .

فاستثنى أهل رحمته من الخلاف المذموم الذي يفرّق الأمة ، ويجعلها شيَعاً وأحزاباً .

وقال تعالى : ﴿**وَلاَ تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُم وَكَانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُون**﴾ .

فجعل سبحانه التفرق شعار المشركين ، لا سبيل الموحدين الذين أمروا باتباع صراط مستقيم واحد : ﴿**وأن هذا صراطي مستقيماً فاتَّبعوه ولا تتبعوا السُّبل فتفرَّق بكم عن سبيله**﴾ .

والخلاف المعتبر وقع للسلف الصالح فلم يفرق لهم جمعاً ، أو يبعثر لهم صفاً ، أو يقطع لهم رحماً ، أو يؤدي إلى فجور في الخصومة .

لكن من المؤسف والمؤلم حقاً أن تجد أصحاب الأمس أعداء اليوم . . . ولماذا؟ لا لشيء يستحق هذا العداء وهذه الشحناء وتلك القطيعة بل في الغالب أهواء جامحة ، ودنيا فانية ، وحظوظ نفسية للشيطان حظ وافر في أكثرها ، وقد ذم الله المشركين والمنافقين ؛ لأنهم لا يرعون عهداً ، ولا قرابة ، ولا مودة : ﴿لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاً وَلا ذِمَّةً﴾ .

فما أحوجنا إلى أخلاق السلف الصالح وإلى تربيتهم وتزكيتهم ؛ لنكون حقاً سلفيين لا بالمظهر فحسب وإنما بالمخبر والجوهر أيضاً ، لا بالدعوى العريضة وإنما بالواقع والحقيقة ، لا بالشعارات وإنما بالشواهد والبيِّنات الواضحات .

فمن ادعى ما ليس فيه
فضحته شواهد الامتحان

فهل من حدٍّ ونهاية لهذه الصراعات والنزاعات والحروب الداخلية ؛ التي تطحن أهلها طحناً ، وتجعلهم مثار الشماتة من أعدائهم ، وتجعل من ديارهم خراباً يباباً ، وتصدُّ الناس عن دعوة الحق ؛ فيتخطفهم الشيطان وأولياؤه وهم لا يشعرون؟!

اللهم سَلِّم سلِّم(!!)

قال الفاروق رضي الله عنه:

"نحن قوم أعزنا الله بالإسلام؛ فإذا ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله".

□ يُشْكِل على بعض جهلة المخالفين لمنهج أهل السنة في العقيدة ـ المضطربين في أفكارهم ، المختلفين في آرائهم ـ شيء من الآيات ، أو الأحاديث المتعلقة بأسماء الله سبحانه وصفاته ، فتراهم يخبطون فيها خبط عشواء ، بكلام لا يقوم على علم ، ولا ينبني على منهج .

وأوّل ما يلاحظه المتأمل في طريقتهم وأُسلوبهم : ضرب النصوص بعضها ببعض حتى يسلم لهم مرادهم ، ويخلص لهم مقصودهم .

ومن الأمثلة الدالة على ما قلت : كلامهم في قوله تعالى : ﴿**وما كانَ رَبُّكَ نسيًا**﴾ مقارنة مع آيات كريمة أُخرى فيها ذكر النسيان ؛ لكن لمعنى آخر .

وهؤلاء القوم (نسُوا) في خضمِّ تربصهم بأهل السنة كثيراً من المسلَّمات العلمية الثابتة ، كقاعدة المشترك اللفظي ؛ أي : الكلمة الواحدة التي لها أكثر من معنى ، وأكثر من مدلول ، وإنما يعرف المراد بالسياق والسباق .

فإلزاماً من هؤلاء لأهل السنة (!) وقعوا في تفسيرات مضطربة متناقضة . . وإمعاناً مني في (نسيان) ما قالوا أو كتبوا سأكتفي بذكر وجوه الصواب في هذه المسألة ، فأقول وبالله التوفيق :

الأصل في معنى (النِّسيان) : التَّرْك ، ثم استعمل بمعنى : الغفلة والذهول(*) . . وفي كلا المعنيين وردت آيات القرآن الكريم بحق الله سبحانه وتعالى ، بمعنى (الترك) إثباتاً ، وبمعنى (الغفلة) نفياً :

أما المنفي ـ وهو الغفلة ـ ففي قوله تعالى : ﴿**وما كان ربُّك نَسِيًا**﴾ ، ومنه قوله سبحانه : ﴿**لا يضلُّ ربي ولا ينسى**﴾ .

وهذا بيِّن جليٌّ واضح .

وأما المعنى المثبت ـ وهو الترك والإهمال ـ ففي قول الله سبحانه خطاباً لمن غفل عن أمره ، وترك حكمه : ﴿**قال كذلك أتتك آياتنا فَنَسِيتَها وكذلك اليوم تنسى**﴾ .

وفي قوله سبحانه : ﴿**فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا**﴾ .

وفي قوله : ﴿**نَسُوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون**﴾ .

وفي قوله : ﴿**وقيل اليومَ ننساكم كما نَسِيتم لقاءَ يومكم هذا**﴾ .

وفي قوله : ﴿**فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا إنا نسيناكم**﴾ .

فهذا كله نسيان (يقابل) ذلك النسيان ، وترك جزاء غفلة ، وإهمال جزاء ذهول .

أفليس المنهج في ذلك مؤتلفاً غير مختلف ، ومتفقاً غير مفترق؟!

أفليست دلالات النصوص تعطي هذه المعاني كلاً بحسْبها ، دونما خبط من غير ضبط؟!

والله الهادي . ■

(*) انظر : «بصائر ذوي التمييز» (٥/٤٩ـ٥٠) للفيروزآبادي .

اتق المحارم

بقلم : الشيخ عبد العظيم بن بدوي

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «من يأخذ عني هذه الكلمات فيعمل بهنَّ أو يعلم بهنَّ ، فقال أبو هريرة : قلت : أنا يا رسولَ الله! فأخذ بيدي فعدَّ خمساً ، وقال :

«اتق المحارمَ تكن أعبدَ الناس ، وارضَ بما قسم اللَّهُ لك تَكُنْ أغْنَى الناسِ ، وأحسنْ إلى جَارِك تَكُنْ مُؤْمِناً ، وأحبَّ للناسِ ما تحبُّ لنفسك تكنْ مُسْلماً ، ولا تُكْثِر الضَّحِك ؛ فإن كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُميتُ القَلْبَ»(١) .

هذه كلمات من جوامع الكلم ، رغَّب النبي ﷺ في أخذها للعمل بها ولتعليمها ، من باب تكميل النفس ثم تكميل الآخرين ؛ كما قال تعالى : ﴿والعَصْر . إنَّ الإنسانَ لفي خسر . إلاَّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ فكمّلوا أنفسهم ﴿وتواصَوْا بالحق وتواصوا بالصبر﴾ لتكميل غيرهم .

* وقول أبي هريرة : «أنا» ؛ أي : أنا آخذ عنك هذه الكلمات ، وفيه إشارة إلى ما كان عليه من الحرص على الخير رضي الله عنه .

* وقوله : «فأخذ بيدي» ؛ أي : لعدّ هذه الكلمات ، أو لأنه ﷺ كان عند التعليم يأخذ بيد من يعلمه .

* وقوله : «فَعَدَّ خمساً» ؛ أي : من الخصال ، أو من الأصابع على ما هو المتعارف واحدة بعد واحدة ، وقال : «اتق المحارم تكن أعبد الناس» ؛ أي : احذر الوقوع في جميع ما حرم الله عليك . والله عز وجل يقول : ﴿وقد فصّل لكم ما حرّم عليكم﴾ فالمحرمات المقطوع بها مذكورة في الكتاب والسنة ، كقوله تعالى :

﴿قل تَعَالَوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ولا تقتلوا أولادكم من إِمْلاَقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكم وَإِيَّاهُم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلا بالحق ذلكم وصّاكم به لعلكم تعقلون﴾ .

وقوله تعالى : ﴿قل إنما حرم رَبِّيَ الفواحشَ ما ظهر منها وما بَطَن والإثم والبَغْيَ بِغَيْرِ الحَقِّ وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٠٧/٣/٣٧٧).

تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾ .

وفي المطاعم يقول تعالى : ﴿قل لا أَجِدُ فيما أُوحِيَ إِليَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُه إلا أن يكون ميتةً أو دماً مسفوحاً أو لَحمَ خنزيرٍ فإنه رجس أو فسقاً أُهِلَّ لغير الله به﴾ .

وقال تعالى : ﴿حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أَكل السَّبُع إلا ما ذكَّيتم وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق﴾ .

وفي المشارب قال تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمرَ والميْسِرُ والأنْصَابُ والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾ .

وفي المناكح قال تعالى : ﴿حرّمت عليكم أُمَّهَاتِكم وبناتكم وأخواتكم وعمّاتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأُمهات نسائكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن ، فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وَأَنْ تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف إن الله كان غفوراً رَحِيماً﴾ .

وفي المكاسب قال تعالى : ﴿وَأَحَلّ الله البيع وحرّم الربا﴾ .

وأما السنة ففيها ذكر كثير من المحرمات :

كقوله صلى الله عليه وسلم : «إن الله حرّم بيع الخمر ، والميتة ، والخنزير ، والأصنام»[٢] .

وقوله صلى الله عليه وسلم : «كل مُسْكِرٍ خَمْرٌ ، وكل خمر حرام»[٣] .

وقوله صلى الله عليه وسلم : «إن دِمائكم ، وأموالكم ، وأعراضكم عليكم حرام»[٤] .

وقوله صلى الله عليه وسلم : «يَحْرُمُ من الرَّضَاعة ما يحرم من النسب»[٥] .

فما ورد التصريح بتحريمه في الكتاب والسنة فهو محرَّم ، وقد تستفاد الحرمة من النَّهْي ، كما تستفاد من الوعيد الشديد المترتب على الفعل .

فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول : «اتق المحارم تكن أعبدَ الناس» ؛ أي : من أعبدهم ؛ لأنه يلزم من ترك المحارم فعلُ الفرائض ، فباتِّقاء المحارم تبقى الصحيفة نقية من التبعات ، فالقليل من التطوع مع ذلك ينمو وتعظم بركته ، فيصير ذلك التقي من أكابر العباد .

ويلزم من ذلك أن يكون العبد عالماً بالواجب ليقوم به ، وعارفاً بكل محرّم فيجتنبه ، ومن هنا قال صلى الله عليه وسلم : «طَلَبُ العلم فريضة على كل مسلم»[٦] ، ولقد بيّن الله سبحانه أن تعظيم المحارم خير للعبد فقال : ﴿ذلك ومن

---

(٢) أخرجه البخاري (٢٢٣٦/٤/٤٢٤)، ومسلم (١٠٨١/٣/١٢٠٧) وغيرهما .

(٣) أخرجه مسلم (٢٠٠٣/٧٥/٣/١٥٨٧)، وابن ماجه (٣٣٩٠/٢/١١٢٤).

(٤) أخرجه البخاري (١٧٣٩/٣/٥٧٣).

(٥) أخرجه البخاري (٢٦٤٥/٥/٢٥٣)، ومسلم (١٤٤٧/٢/١٠٧١).

(٦) أخرجه ابن ماجه (٢٢٤/٨١/١).

يُعَظِّم حُرُمَاتِ اللَّهِ فهو خيرٌ له عند ربه﴾ قال ابن كثير[٧] رحمه الله : ومن يجتنب معاصيَه ومحارمه ويكون ارتكابها عظيماً في نفسه **﴿فهو خير له عند ربه﴾** ؛ أي : فله على ذلك خير كثير ، وثواب جزيل ، فكما أنَّ على فعل الطاعات ثواب كثير وأجر جزيل ، فكذلك على ترك المحرمات ، واجتناب المحظورات .

* وقوله صلى الله عليه وسلم : «وارض بما قسم الله لك تَكُنْ من أغنى الناس» ؛ أي : اقنع بما أعطاك الله ، واجعله حظك من الرزق ، تكن أغنى الناس ، فإن من قنع ؛ استغنى ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : «ليس الغِنَى عن كَثْرَةِ العَرَضِ ، ولكن الغِنَى غِنَى النَّفْسِ»[٨]

قال ابن بطال : معنى الحديث : ليس حقيقة الغنى كثرة المال ؛ لأن كثيراً ممن وسع الله عليه في المال لا يقنع بما أُوتي ، فهو يجتهد في الازدياد الإلحاح في الطلب ، فكأنه ليس بغنيٍّ .

وقال القرطبي : معنى الحديث : أن النفع النافع أو العظيم أو الممدوح هو غنى النفس ، وبيانه : أنه إذا استغنت نفسه ؛ كفَّت عن المطامع فعزَّت وعظمت ، وحصل لها من الحظوة ، والنزاهة ، والشرف ، والمدح ؛ أكثر من الغنى الذي يناله من يكون فقير النفس لحرصه ؛ فإنه يورطه في رذائل الأُمور ، وخسائس الأفعال ، لدناءةِ همته وبخله ، ويكثر من يذمُّه من الناس ، ويصغر قدره عندهم ؛ فيكون أحقر من كل حقير ، وأذل من كل ذليل .

قال الحافظ ابن حجر : والحاصل أن المتصف بغنى النفس يكون قانعاً بما رزقه الله ، لا يحرص على الازدياد لغير حاجة ، ولا يلح في الطلب ، ولا يلحف في السؤال ، بل يرضى بما قسم الله له ، فكأنه واجد أبداً .

والمتصف بفقر النفس على الضد منه لكونه لا يقنع بما أُعطي ، بل هو أبداً في طلب الازدياد من أي وجه أمكنه ، ثم إذا فاته المطلوب حزن وأسف ، فكأنه فقير من المال ، لأنه لم يستغن بما أعطي ، فكأنه ليس بغني[٩] .

فارض ـ يا عبد الله ـ بما قسم الله لك تكن أغنى الناس ، وتذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم : «من أصبح منكم آمناً في سِرْبه ، مُعَافىً في جَسَده ، عنده قُوتُ يَوْمه ، فكأنما حِيزتْ له الدنيا بحذافيرها»[١٠] .

وقوله صلى الله عليه وسلم : «قد أفلح من أسلم ، وكان رزقه كفافاً ، وقنّعه الله بما آتاه»[١١] .

قال الله تعالى : **﴿ولا تمدَّنَ عينيك إلى مَا مَتَّعْنَا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا**

---

(٧) تفسير القرآن العظيم (٣/٢١٨).

(٨) أخرجه البخاري (١١/٢٧١/٦٤٤٦)، ومسلم (٢/٦٧٢/١٠٥١)، والترمذي (٤/٣٥/٢٤٧٩).

(٩) الفتح (١١/ ٢٧٢).

(١٠) أخرجه الترمذي (٢٤٤٩/ ٥/ ٤أ)، وابن ماجه (٤١٤١/ ١٧/ ١٣/ ٢).

(١١) أخرجه مسلم (١٠٥٤/ ٧٣٠/ ٢)، والترمذي(٢٤٥٢/ ٦/ ٤)، وابن ماجه (٤١٣٨/ ١٦/ ١٣/ ٢).

لنفتنهم فيه ورزق ربك خَيْرٌ وأبقى﴾ .

وإذا رأيت من هو أكثر منك مالاً وولداً ، فاعلم أن هناك من أنت أكثر منه مالاً وولداً ، فانظر إلى من أنت فوقه ، ولا تنظر إلى من هو فوقك ، فإلى هذا أرشدك المصطفى صلى الله عليه وسلم حيث قال : «انظروا إلى من هو أسفل منكم ، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم ، فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم»[١٢] .

* قوله صلى الله عليه وسلم : «وأحسنْ إلى جارك تكن مؤمناً» :

قد أمر الله بالإحسان إلى الجيران ؛ فقال تعالى : ﴿**واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم**﴾ .

وقد كثرت الأحاديث أيضاً في ذلك ، منها :

قوله صلى الله عليه وسلم : «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورّثه»[١٣] .

وقوله صلى الله عليه وسلم : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فليحسن إلى جاره»[١٤] .

وقوله صلى الله عليه وسلم : «خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه ، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره»[١٥] .

فإذا لم تقدر على الإحسان إلى جارك ؛ فكُفَّ عنه أذاك ، وإذا لم يكن مؤذياً لك ؛ فليزمك الصبر عليه ، حتى يجعل الله لك فرجاً .

قال الحسن : «ليس حسن الجوار كفَّ الأذى ، ولكن حسن الجوار احتمال الأذى» .

أما أذى الجار ؛ فمحرم ؛ لأن الأذى بغير حق مُحَرَّم على كل أحد ، ولكن في حق الجار ما هو أشد تحريماً ؛ فعن عبدالله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل : «أي الذنب أعظم؟ قال : «أن تجعل لله نداً وهو خلقك» . قيل : ثم أيّ؟ قال : «أن تقتل ولدك مخافة أن يَطْعَمَ مَعَك» . قيل : ثم أيّ؟ قال : «أن تُزاني حليلة جارك»[١٦] .

وعن المقداد بن الأسود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ما تقولون في الزِّنَا؟» ، قالوا : حَرَامٌ ؛ حرّمه الله ورسوله ، فهو حرام إلى يوم القيامة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لأن يزني الرجل بِعَشْرِ نِسْوة أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره» ، قال : ثم سألهم عن السرقة ، قالوا : حرام ، حرمه الله ورسوله ؛ فهو حرام إلى يوم القيامة ، قال : «لأن يسرق الرجل من عشرة أبيات أيسر عليه من أن يسرق من

---

(١٢) أخرجه مسلم (٢٩٦٣/ ٢٢٧٥/ ٤)، والترمذي(٢٦٣٢/ ٧٥/ ٤)، وابن ماجه (٤١٤٢/ ١٣٨٧/ ٢).

(١٣) أخرجه البخاري (٦٠١٤/ ١٠)، ومسلم (٢٦٢٤/ ٢٠٢٥/ ٤).

(١٤) أخرجه مسلم (٤٨/ ٦٩/ ١).

(١٥) أخرجه الترمذي (٢٠٠٩/ ٢٢٤/ ٣).

(١٦) أخرجه البخاري (٤٤٧٧/ ١٦٣/ ٨)، ومسلم (٨٦/ ٩٠/ ١).

بيت جاره»[١٧] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن» ، قيل : من يا رسول الله؟ قال : «من لا يأمن جارهُ بوائقه»[١٨] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «لا يدخل الجنةَ من لا يَأْمَنُ جارُه بوَائِقَهُ»[١٩] .

ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يحثّ الجيران على التهادي ، والصلة ، وكان ينهى عن احتقار ما يقدمه الجار لجاره .

فعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «تهادوا تَحَابُّوا»[٢٠] .

وعنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «يا نساءَ المؤمنات لا تَحْقِرَنَّ جارةٌ لجارَتِها ولَو فِرسِنَ شَاة»[٢١] .

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «يا أبا ذر! إذا طبختَ مَرَقَةً فَأَكْثِرْ مَاءَها ، وتعاهد جيرانك منها»[٢٢] .

(١٧) أخرجه أحمد (١٨٧/ ٧١/ ١٦).
(١٨) أخرجه البخاري (٦٠١٦/ ٤٤٣/ ١٠).
(١٩) أخرجه مسلم (٤٦/ ٦٨/ ١).
(٢٠) أخرجه البيهقي(١٦٩/ ٦).
(٢١) أخرجه البخاري (٢٥٦٦/ ١٩٧/ ٥)، ومسلم (١٠٣٠/ ٧١٤/ ٢)، والفرسَن: الظلف.
(٢٢) أخرجه مسلم (٢٦٢٥ - ١٤٢-/ ٢٠٢٥/ ٤).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قلت : يا رسول الله إنَّ لي جارتين ، فإلى أيّهما أُهدي؟ قال : «إلى أَقْرَبهما منك باباً»[٢٣] .

وقوله صلى الله عليه وسلم : «وأحسن إلى جارك تكن مؤمناً» ؛ أي : كامل الإيمان ؛ لأنَّ الإيمان يزيد وينقص ؛ كما هو اعتقاد أهل السنة والجماعة أتباع السلف الصالح .

* وقوله صلى الله عليه وسلم : «وأحبَّ للناس ما تُحِبُّ لنفسك تَكُنْ مسلماً» ؛ أي : كامل الإسلام ، وهو يفيد أنه على قدر نقصان هذا الحب ينقص الإسلام .

وقد رتب النبي صلى الله عليه وسلم على هذه الخصلة دخول الجنة ، فقال صلى الله عليه وسلم : «من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة ، فلْتدركه منيّته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ، وليأت إلى الناس الذي يحبُّ أن يؤتى إليه»[٢٤] .

وإنما يصل المرء إلى هذه الرتبة بكمال سلامة صدره ؛ من الغش ، والغل ، والحسد ، فإن الحسد يقتضي أن يكره الحاسد أن يفوقه أحد في خير أو يساويه فيه ، لأنه يحب أن يمتاز على الناس بفضائله وينفرد بها عنهم ، والإيمان يقتضي خلاف ذلك ، وهو أن يشركه المؤمنون كلهم فيما أعطاه الله من الخير من غير أن

(٢٣) أخرجه البخاري (٢٥٩٥ / ٢١٩ / ٥) و (٥١٣٣ / ٦٣ / ١٤).
(٢٤) أخرجه مسلم (١٨٤٤/ ١٤٧٢، ٤٧١/ ٣)، والنسائي (١٥٣/ ٧).

ينقص عليه منه شيء .

وفي الجملة ينبغي للمؤمن أن يحب للؤمنين ما يحب لنفسه ، ويكره لهم ما يكره لنفسه ، فإنْ رأى في أخيه المسلم نقصاً في دِينه اجتهد في إصلاحه ، وإنْ رأى في غيره فضيلة فاق بها عليه فيتمنى لنفسه مثلها ، فإنْ كانت الفضيلةُ دينيةً كان حسناً ، وَقدْ قال النبي صلى الله عليه وسلم : «لا حسدَ إلا في اثنتين : رجلٍ آتاه الله مالاً فسلّطه على هَلَكَتِهِ في الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلّمها»[٢٥] .

وإن كانت دنيوية فلا خير فيها ، وقد قال تعالى : **﴿ولا تتمنّوا ما فضَّلَ اللهُ به بعضَكُم على بعضٍ﴾** .

وقال تعالى عن قارون : **﴿فَخَرجَ على قومِه في زينَتِه قال الذين يريدون الحياةَ الدُّنيا يا ليتَ لنا مثلَ ما أوتي قارون إنه لذو حظٍّ عظيم﴾** فلما خسف الله به وبداره الأرض قال الذين تمنّوا مكانه بالأمس : **﴿ويكأنَّ اللهَ يبسطُ الرِّزقَ لمن يشاءُ من عبادِه ويقدر لولا أن منّ الله علينا لخسف بنا وَيْكَأَنَّه لا يفلح الكافرون﴾** .

* وأما قوله صلى الله عليه وسلم : «ولا تكثر الضحك ؛ فإنَّ كثرة الضحك تميت القلب» ؛ ففيه النهي الظاهر عن كثرة الضحك ، وبيان علة النهي ؛ وهي : «أن كثرة الضحك تميت القلب» ؛ أي : تجعله مغموراً في الظلمات ، بمنزلة الميت الذي لا ينفع نفسه بنافعة ، ولا يدفع عنها شيئاً من مكروه ، وحياته وإشراقه مادة كل خير ، وموته وظلمته مادة كل شر ، وبحياته تكون قوته ، وسمعه ، وبصره ، وتصور المعلومات وحقائقها على ما هي عليه .

وفي الحديث إيذان بقليل الضحك لا سيما للمصلحة ، وهذا هو هدي النبيين ، وعباد الله الصالحين .

قال تعالى عن سليمان عليه السلام ـ لما سمع قول النملة ـ : **﴿فتبسّم ضَاحِكاً من قولها﴾** .

وعن سعد بن أبي وقاص قال : كان رجل من المشركين قد أحرق المسلمين (أي : أثخن فيهم وعمل فيهم عمل النار) ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لسعد : «ارم فِداك أَبِي وأُمِّي» ،قال : فنزعت له بسهم ليس فيه نصل ، فأصبت جنبه ، فسقط ، فانكشفت عورته ، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى نظرت إلى نواجذه[٢٦] وسروره صلى الله عليه وسلم بإصابة الرجل ، لا بانكشاف عورته ؛ فإنه المنزه عن ذلك . وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : «وإني لأعلم آخر أهل النار خروجاً منها ، وآخر أهل الجنة دخولاً ، رجل يخرج من النار حَبْواً ، فيقول الله له : اذهب فادخل الجنة ، فيأتيها ، فيخيّل إليه أنها ملأى ، فيرجع ، فيقول : يا رب! وجدتها ملأى ، فيقول : اذهب ، فادخل الجنة ،

(٢٥) أخرجه البخاري (٧٣/ ١٦٥/ ١)، مسلم(٨١٦/ ٥٥٩/ ١).

(٢٦) أخرجه مسلم (٢٤١٢/ ١٤٧٦/ ٤).

فيأتيها فيخيّل إليه أنها ملأى ، فيرجع . فيقول : يا رب! وجدتُها ملأى ، فيقول : اذهب فادخل الجنة ، فإنَّ لك الدنيا وعشرة أمثالها ، فيقول : تسخر مني - أو : تضحك مني - وأنت الملك؟!» ، فلقد رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه ، وكان يقول : «ذلك أدنى أهل الجنة منزلاً»[٢٧] .

ولكن هذا الضّحك منه صلى الله عليه وسلم كان على غير عادته ، فقد كان جُلّ ضحكته التبسم ؛ فعن سماك بن حرب ، قال : قلت : لجابر بن سَمُرَة : أكنت تجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال : نعم ، كثيراً ، كان لا يقوم من مصلاه الذي يصلي فيه الصبح أو الغداة حتى تطلع الشمس ، فإذا طلعت الشمس قام ، وكانوا يتحدَّثون فيأخذون في أمر الجاهلية ، فيضحكون ويبتسم[٢٨] .

وقيل لعمر : هل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون؟ قال : نعم ، والإيمان والله أثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي .

ولقد بلغ من سماحة الإسلام أن جعل التبسم وطلاقة الوجه عند لقاء الأخ لأخيه من الصدقات .

فعن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال لي النبي صلى الله عليه وسلم : «لا تَحْقِرنَّ من المعروف شَيْئاً ، ولو أَنْ تَلْقَى أخاك بوجهٍ طَلْق»[٢٩] .

إنّ الإسلام دين واقعي ، لا يحلّق في أجواء الخيال والمثالية الواهمة ، ولكنه يقف مع الإنسان على أرض الحقيقة والواقع ، ولا يعامل الناس كأنهم ملائكة أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع ، ولكنه يعاملهم بشراً ، يأكلون الطعام ، ويمشون في الأسواق ، لذلك لم يفرض عليهم - ولم يفترض فيهم - أن يكون كُلُّ كلامهم ذِكراً ، وكل صمتهم فكراً ، وكل فراغهم في المسجد ، وإنما اعترف بهم ، وبفطرهم ، وغرائزهم التي خلقهم الله عليها وقد خلقهم سبحانه يفرحون ، ويمرحون ، ويضحكون ، ويلعبون ،كما خلقهم يأكلون ، ويشربون ، فلا بأس على المسلم أن يفكه ويمزح بما يشرح صدره ، ولا حرج عليه أن يروّح نفسه ونفوس رفقائه بلهو مباح ، على أن لا يجعل ذلك ديدنه وخلُقه في كل أوقاته ، ويملأ به صباحه ومساءه ، فينشغل به عن الواجبات ، ويهزل في موضع الجد ، ولذا قيل : أَعْط الكلام من المزاح ، ما يُعطي الطَّعامَ مِن الملح .

هذا ، وآخر دعوانا أنِ الحمد لله رب العالمين .

* * *

(٢٧) أخرجه البخاري (٦٥٧١/ ٤١٨ و٤١٩/ ١١)، ومسلم (١٨٦/ ١٧٣/ ١).

(٢٨) أخرجه مسلم (٦٧٠/ ٤٦٣/ ١) والنسائي (٨٠ و ٨١/ ٣).

(٢٩) أخرجه مسلم (٢٦٢٦/ ٢٠٢٦/ ٤).

وقفات مع موالد بعض الأولياء

الشيخ الدكتور محمد بن عبد الرحمن الخميس

□ الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وبعد :

فإن الله تعالى قد حذر من الابتداع في الدين والإحداث فيه بغير حق ، وجعل ذلك تشريعاً بغير إذن الله تعالى ، فقال عز وجل : ﴿**أَمْ لَهُم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله**﴾ وقال النبي ﷺ : «عليكم بسنتي ، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، عَضُّوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل بدعة ضلالة» .

ومن أخطر البدع والمنكرات في زماننا ،تلك الموالد التي جرى العمل على الاحتفال بها في كثير من البلدان الإسلامية ، مما يقام في أوقات معينة من العام ، ويتكرر كل عام ، وبعض من هذه الموالد قد يستمر لعدة أيام ، وفيها من المفاسد ما لا يعلمه إلا الله تعالى ، وأعظم هذه المفاسد : الطواف بالأضرحة التي عملت للمقبورين من أنبياء ، وأولياء ، وغيرهم ، وطلب قضاء الحوائج منهم ، وتقديم النُّذور لهم ، وهذا كلُّه إشراكٌ بالله العظيم ، ثم ما يلي ذلك من تعطيل بيوت العبادة وهجرها والاجتماع فيهابذكر الموالد يوماً أو أياماً ، وكذلك تحول هذه الموالد إلى مواسم للسرقة ، والدَّعَارة ، وشرب المسكرات ، والتفاخر بأنواع الفجور والمنكرات ، مما لا ينكره عاقل ، وكذلك التعبد بما لم يأذن به الله تعالى من عبادات وأوراد مبتدعة محدثة ، فيها من الشركيات ما لا يعلمه إلا الله .

وكل هذه الموالد لا أصل لها في دين الله تعالى ، وليست من هدي رسول الله ﷺ ، ولا أصحابه ، ولا التابعين لهم بإحسان ، فلا هُم أقاموها ، ولا استحسنوها ، ولا أقروها ، ولو كانت خيراً لسبقونا إليه :

وكلُّ خيرٍ في اتّباع من سلف

وكلُّ شَرٍّ في ابتداع من خلف

ومما يبعث الأسى والحزن أن بعض من تقام لهم الموالد ، ويسمَّون بالأولياء الصالحين ، ليسوا بأولياء ، ولا صالحين ، بل عندهم أنواعٌ خطيرة من الابتداع في الدين ،

والضلال في العقائد ، بل منهم من بلغ به ضلال العقيدة حدّاً خطيراً ، وأنا أُشير باختصار إلى ثلاثة من أصحاب الموالد ، الذين تقام لهم الموالد ، وأشير إلى شيء من عقيدتهم ، فأقول :

الأول: المناوي:

فمن عقائده : أن النبي ﷺ مخلوق من نور الله تعالى ، فهو جزء من الذات القدسية ، وأن المخلوقات الأُخرى هي من نوره ﷺ ، إلى غير ذلك من أقواله الباطلة في دين الله ، والتي لا دليل عليها ، بل هي رجم بالغيب ، فمن ذلك قوله : «ولما تعلقت إرادة الله بتكوين الكائنات علوية وسفلية ، وبدئها بأشرف العالمين أُصولاً ، وأرفعهم في المقام ، خلق نور محمد من صفاء بياض أنوار ذاته القدسية ، فدار بالقدرة ، وتقلب في خزائن الغيب ، حيث شاء الملك العلاّم» ويقول : «ثم خلق منه -من نور محمد- العرش ، والكرسي ، واللوح ، والقلم . . .» إلخ ، وقال : «ومنه خلق العرش والكرسي ، وخلق الجن والإنس ، وخلق البدر والشمس ، وخلق اللوح والقلم . . .» راجع (١٣-١٤) من مواليده .

وهذا كلُّه باطل ، خطير ، عظيم ، مناقض للنصوص الشرعية ، حيث أمر الله تعالى نبيَّه محمّداً ﷺ أن يعلن بشريته ، فقال تعالى : ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم﴾ وبيَّن أصل خِلْقة الجن ، والملائكة ، والإنس ، فقال تعالى : ﴿خلق الإنسان من صلصال كالفخار وخلق الجانَّ من مارج من نار﴾ وقال النبي ﷺ : «خلِقت الملائكة من نور ، وخلق الجانّ من مارج ، وخلق آدم مما وصف لكم» ، ولو كان النبي ﷺ منْ نُور اللّه مَا مَات ، وقد حَكَمَ اللّه بِموْته ، حَيْثُ قَالَ : ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَيِّتُونَ﴾ ومن ضلاله قوله : «لمّا رام آدمُ القرب من حواء قَالَتْ لَه الملائكة : حتى تؤدّي صداقها بالكمال والتمام ، فقال ما هو؟ قالوا : أن تصلي على محمد بن عبد الله ثلاث مرات ، وفي رواية : عشرين عددية ، ففعل ، فجرى وجوب الصداق في ذريته على مر الدهور والأعوام» .

ولا ندري من أين جاء بهذا الكلام العجيب؟! وما إسناده؟! ومن الذي أخبره بذلك؟! هذا أمر عجيب!

وقال أيضاً : «ولّما خلق الله آدم من طين ، وتكاملت أوصافه البشرية ، أَمر الروح أن تدخل في جسده ، فمكثت في رأسه مائة عام ، وفي صدره مائة عام ، وفي ساقه مائة عام ، ثم أسكن نور محمد في ظهره . . .إلخ» (ص١٤) وهذا يتناقض مع ما ذكره أولاً من خلق آدم من نور محمد ﷺ ، ولا أعرف من أين جاء بكل ذلك؟! وله ضلالات أخرى

غير ما ذكر .

الثاني: أبو بصير:

فإنه كان مِنَ الغَالين في شأن النبي ﷺ ، حتى إنَّهُ جعل ليلة مولده خيراً من ليلة القدر ، يقول : «ليلة القدر أراها أحْسَنَ»!! فخالف بذلك كتاب الله ، وإجماع الأُمة ، حيث قال تعالى : ﴿لَيْلَةُ القَدر خير من ألف شهر﴾ .

وأظهرَ القول بإحياءِ والديْ رسول الله ﷺ ، وهو معتمِد على حديث موضوع كذب ، يخالف ما صح عن النبي ﷺ مما يخالفه .

وأتى بأشياء مغيبة لا دليل عليها ، وفيها من الغلوّ ما لا يخفى ، كما قال : وبشَّرت دوابُّهم به بعمله ، ونطقت ليلة بفضله ، والوحش في الشرق هو الخبير : فهو لو سن المغرب البشير ، هذه البراري وكذا البحور : حيتانها لبعض بشير ، وكأنما كان يعرف لغة الطير والوحش .

وقال أيضاً : «وجاد ربي للنساء أن حملت في عامها ذُكوراً»

وكأنه عَلِمَ عِلْمَ الغيب ، وأجرى إحصائيات أثبتت أن مواليد ذلك العام كانوا كلهم ذكوراً .

ويجيز التوسل بذات النبي عليه السلام ، حيث يقول : «يا ربنا! بجاهه عليك ، إنا توسّلنا به إليك» ، وهذا التوسل توسل بدعي ، لا يجوز ، ولم يُرشد إليه النبيُّ ﷺ ، ولم يفعله أحد من أصحابه لا في حياته ﷺ ولا بعد موته .

وضلاله كثير غير ما ذكر .

الثالث: الشيخ عبده الشهير بـ (الحمصي)

وأقواله تكشف بوضوح عقائد شركيّة ؛ كالقول بوحدة الوجود وكعقيدة الحلول ، وفظاعة الغلو في شأن رسول الله ﷺ .

يقول الحمصي : «الحمد لله الذي أظهر من باطن خفاء عماء ليل هوية الأحدية ، مطالع أنوار فجر صبح حضرة الحقيقة المحمدية ، ثم سلخ منها جميع العالم ، فكانت للأشياء في نسابة دم ، فرفع بها ووضع ، وفرق وجمع ، وقرب وأبعد ، وأشقى وأسعد ، فهي كلمة الفصل ؛ التي لم تَزَلْ رَاجِعَةً لِلأَصْل ، ونقطة الشكل ؛ التي بها سر الوصل ، ونور الكاف ؛ عند أهل الأعراف ، قديمة في الفم ، حادثة في الجسم ، معناها الوجود ، ومجلاها الحدود ، سارية في الأزمان ، كالشمس في الأكوان . . .» إلخ ، راجعه مقدمة «مولده» (ص١) وهذا فيه إخبار بأن النبي ﷺ هو أبو الوجود كله ، وهذه طامّة كبرى .

وادعى كذا للغير ضلاله -أن النبي ﷺ

يعلم الغيب»- قال : «وأشهده مالك الملك ذو الجلال والإكرام مفاتيح الغيب» .

فكذب بذلك ، وخالف قول الله تعالى : ﴿**إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ما ذا تكسب غداً وما تدري نفسٌ بأي أرض تموت**﴾ الآية .

وضلاله كثير غير ما ذكر .

والمقصود من كلامنا هذا : بيان مدى الجرم في حق الإسلام والعقيدة الذي يتمثل في إقامة الموالد لأمثال هؤلاء وغيرهم ، بل حتى لمن كان صالحاً في نفسه ، وما تمثله هذه الموالد من تعدٍّ خطير على شرع الله تعالى ، وتقول على الله بغير علم ، وابتداع في دينه ، وإعراض عن السنة ، وإقامة للبدعة ، واتباع للهوى ، وإغضاب للرحمن ، وإرضاء للشيطان ، ونشر للفجور ، وطمس لمعالم الشريعة الغراء ، فالواجب على المسلمين في كل البلاد ؛ العودة إلى طاعة رب العباد ، والإعراض عن طرق الغواية والضلال ، وتنكب مظاهر الشرك والابتداع .

والله الهادي إلى سواء السبيل

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

■■■

لا تطلبوا الحوائجَ في غير حينها، ولا تطلبوها إلى غير أهلِها، ولا تطلبوا ما لستم له بأهلٍ؛ فتكونوا للمنع خُلَقاءَ.

طغيان القلم

بقلم : الشيخ د. محمد موسى نصر

□ كرَّم اللهُ القلم ؛ بأن جعله أول مخلوق ؛ كما صح بذلك الخبر عن سيد البشر .

وأقسم به لشرفه وشرف ما يتوصل به إليه ، فقال : ﴿ن والقَلَمِ وما يَسطُرون﴾ ؛ فأقسم بهذا على أن دعوة نبينا محمد ﷺ مسندة إلى رجل معصوم يتمتع بكامل العقل والقوى ، لذلك أَعقب ذلك بقوله : ﴿ما أَنْتَ بِنِعمَةِ ربِّك بِمَجنون﴾ ؛ لأن الجنون آفة مانعة من التكليف والتبليغ والدعوة ، وهو من أسباب الطغيان .

لذلك فمن كان به جنون لا يصلح لحمل القلم ، ولا الخط به ، فكيف إذا أسند هذا القلم إلى مجنون من مجانين الأرض ، فإنه لن يكون إلا فتكاً بالأمة إذ هو كمجنون أعطي قنبلة أو غيرها من أسلحة الدمار الشامل .

ولأهمية القلم في العلم وتدوينه ، ورد ذكره في مواطن أخرى من الكتاب العزيز ؛ كقوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّ ما في الأرضِ من شجرةٍ أَقْلاَمٌ والبَحْرُ يَمُدُّه من بعده سبعةُ أَبْحرٍ ما نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّه﴾ .

ولأهمية القلم ، وعلوِّ شأنه في الإسلام ؛ فإنه بالإضافة إلى أن الله تعالى أقسم به في سورة القلم التي سميت باسمه أول ما قرع سمع النبي ﷺ من آيات الذكر الحكيم تعظيم شأن القلم في أول سورة أنزلهاالله على نبيه ، قال تعالى : ﴿الَّذي عَلَّم بالقلم ، علَّم الإنسانَ ما لم يعلم﴾ .

فلأهمية العلم . ووسائل تحصيله بَيّن الله لنا ذلك من خلال سورة العلق ؛ لأن المجتمع الجاهلي كان أُميّاً لا يقرأ ، ولا يكتب إلا ما ندر ، وهي آفة الآفات على مر العصور ، وكر الدهور ، فبداية الإصلاح البشري تكون

بالعلم المقروء والمتلو .

ولما كان المقروء عرضة للنسيان . . . فالضياع ؛ أوجب الإسلام تدوينه عن طريق الكتابة ؛ فالقلم هو القلم مهما تغيرت أشكاله ووسائله .

وهو أمانة في عنق حامله لا ينبغي أن يستعمله إلا في الرسالة التي أرسل بها النبيون وورثتهم من العلماء ، فإساءة استغلال القلم كإساءة استغلال السلاح كلاهما يفضي إلى الدمار في العقول والنفوس ، ولذا قال فيه الشاعر :

إذا اهتزَّ في طِرْسِه مُعْجَباً
أذل شعوباً وأعلى شعوباً

فعلى أرباب الأقلام أن يتقوا الله في أقلامهم ، لأن القول أمانة منوطة في أعناقهم ، والله سائلهم عن هذه الأمانة ، التي عرضها على السموات والأرض والجبال فأبت أن تحملها ، وارتجفت من أهوالها أيَّاماً كما جاء في بعض التفاسير .

فلا يحل لصاحب قلم آمن بالله ربًا وبالإسلام ديناً ، وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولاً : أن يطغى قلمه ، فيجمح عن الحق ، ويجنح إلى الباطل ، والطغيان من خلال قذف الآخرين ، والاستهزاء بهم ، والسخرية ، والتجهيل ، والتسبيح بحمد نفسه ، أو حمد غيره دون حمد ربه .

فالأقلام خلقت لتقديس الله وتعظيمه ، والدعوة إليه ، وتعريف الخلق بربهم ، ومعبودهم الحق ، لا التزلف إلى أهل الدنيا ، ولا ترويج البدع ، ولا المدح الكاذبِ الذي أُمِرْنا أن نحثوَ في وجوه أصحابه التراب - ولا الدعوة إلى المناهج الفاسدة وغيرها .

فما أحوج كثيراً من الأقلام إلى الكسر ، وأصحابها إلى الحَجْر ؛ لأنهم أَساؤا استخدامها ، وامتطوا بها متن الباطل ؛ ليصلوا بها إلى حظوظ أنفسهم . . . فالله المستعان .

الشيخ
سعد
الحصين

مناظرة أهل الكتاب

□ الدّعوة إلى الله عبادة ، والعبادة لها طريق مستقيم واحد ، لا يجوز تغييره ولا تبديله ، ولا العدول عنه مهما تغيّر الزّمان ، والمكان ، والأحوال : وحي الله في كتابه ، وسنة رسوله ، وسبيل المؤمنين في القرون الخيّرة : **﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتّبع غير سبيل المؤمنين نولّه ما تولى ونُصله جهنم وساءت مصيراً﴾** ، وإن عدل عنه أكثر الأفراد ، والجماعات ، والأحزاب الموصوفة بالإسلامية ، والمنتسبة إلى الدعوة : **﴿قل لا يستوي الخبيث والطيّب ولو أعجبك كثرة الخبيث﴾** .

واقتداء بمنهاج النبوة والرسالة يجب أن يتجه اهتمام الداعي إلى الله لإصلاح المنتسبين إلى الإسلام أولاً ، قبل أهل الكتاب والمشركين : ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ .

وأكثر المنتسبين إلى الإسلام بعد القرون الخيّرة خالفوا آخر وأهم وصايا النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه أحمد عن أبي عبيدة رضي الله عنه : كان آخر ما تكلم به النبي صلى الله عليه وسلم : « . . . واعلموا أن شرار الناس الذين اتخذوا قبورأنبيائهم مساجد» ، وما رواه مسلم عن جندب رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس وهو يقول : «ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ؛ فإني أنهاكم عن ذلك» ، وما رواه البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي لم يقم منه : «لعن الله اليهود والنصارى ؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» ، قال : فلولا ذلك لأُبْرِزَ قبره غير أنه خُشي أن يُتّخذ مسجداً .

ونافس المنتسبون للإسلام والسنّة ـ اليوم ومنذ قرون ـ اليهود على مساجد قبور أنبيائهم ، ونافسوا النّصارى على مقامات الخضر ، ونافسوا فرق الضلال على مزارات ومشاهد شعيب ، والحسين ، وزينب و(أسماء يصعب حصرها) ما أنزل الله بها من سلطان ، وما هي إلا أساس أوثان ، وأنصاب ، وأصنام

المشركين من عهد نوح ، فيما رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما : «أولئك (أوثان قوم نوح) أسماء رجال صالحين ، لمّا ماتوا أوحى الشيطان إلى مَن بعدهم أن ابنوا في مجالسهم أنصاباً» ، وفيما رواه البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال ـ في مرض موته عن قبور وصور القديسين في كنائسهم ـ : «أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح بَنَوْا على قبره مسجداً ، وصوّروا تلك الصور ، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة» .

واليوم برز لدعوة أهل الكتاب ومجادلتهم من لم يعرف منهاج النبوة في الدين والدّعوة ، ولا ظهر منه إنكار للشرك وما دونه من البدع ؛ التي يتقرب بها أكثر المنتسبين إلى الإسلام إلى الله ، وانصرف إلى دراسة التوراة والإنجيل للردّ على أهلها أكثر مما انصرف لتدبر كتاب الله والعمل به وتبليغه .

وهذا النّهج انحراف عن منهاج الشريعة وسنن جميع الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في الدعوة إلى الله على بصيرة كما أمر الله : البدء بالدعوة إلى إفراد الله بالعبادة أولاً وقبل كل شيء «حتى يوحدوا الله» ، ثم إلى تحكيم شريعة الله في العبادات ثم المعاملات ، وبيان ما أحلّ الله وما حرّم وتحبيب الخالق إلى خلقه : ﴿**وما أُمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين**﴾ ، ﴿**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن**﴾ والحكمة هي السنة : ﴿**وأنزَل عليك الكتاب والحكمة**﴾ ، ﴿**واذكرن ما يُتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة**﴾ .

وقد خصّ الله أهل الكتاب بنهي المسلمين عن مجادلة أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن ، مع دخولهم في عموم الآية الأُخرى : ﴿**ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أُنزل إلينا وإليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون**﴾ .

وليس من الإحسان سبّ كتبهم واتهامها بفساد اللغة والتناقض في القصص كما يفعل أبرز مجادليهم اليوم ؛ فقد نهى الله عن سبّ آلهة المشركين حتى لا يسبّوا الله : ﴿**ولا تسبّوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عَدْواً بغير علم**﴾ وصدق الله : لقد دفع سبّ المسلم التوراة والإنجيل إلى سبّ النصراني القرآن ، واتهامه بمخالفة قواعد اللغة العربية ، والتناقض في القصص .

والالتزام بشرع الله في الدعوة ببيان فضل الإسلام وتصديقه لما قَبْله من الرسالات خير من مهاجمة أهلها ، وقد تبين لمكاتب دعوة الجاليات في المملكة صحة ذلك عملياً ، والله أعلم وأحكم .

■■■

من أدب الرسائل ورسائل الأدب

بقلم: الشيخ الأستاذ محمد بن إبراهيم شقره

□ رسالتي هذه إلى أبنائي المبثوثين في أرجاء الأرض: مشارقها ومغاربها، مَن أعرف منهم ومن لا أعرف، من أحسن منهم إليَّ ومن أساء، من أقبل عليَّ سليم الصدر ومن أعرض في وحره؛ فإن لهم جميعاً في عُنقي حقاً يجب الوفاء به من غير ميز بينهم، فقد وسعتُهم بحبِّي وعفوي، وإشفاقي وشفقتي، فمن أخذ بما فيها فهو الذي أحبُّ، ومن غُصَّ بكلماتها فذا الذي هو أحبَّ، وإن أريد إلا الإصلاح والنُّصح والبلاغ ما استطعت، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب.

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى.

أما بعد:

أي بنيَّ العزيز، وفقه الله ورعاه، وسدّد على درب الخيْر خطاه فإن المرء لا يعمد أن يكتب بقلمه، لأقرب الناس، وأحبهم إليه، وأدناهم منزلةً منه، إلا حين تجمد الحروف على لسانه، وتستعجم الكلمات في فمه، أو حين لا يجد منه حسن إصغاء لحديثه، أو حين يكون بعيداً نائياً عنه، لا يسمعُه إن أراد أن يحدِّثه، وإنه لأحب إليَّ أن تكون كلها، إلا أن تكون الثانية، فحينئذ وددت لو لم تكن، وإن كانت ستكون، فلدقائق معدودات، بل لثوان مسرعات.

ولعل الأمر وقع على غير ما أحب، لعله وعلى غير ما تحب أنت أيضاً، وإذ أن الأمر كان، فلست واجداً أمامي سوى قلمي -الذي طالما بثثته نَجْوايَ، فلم يستطل عليَّ بلسانه، ولم يلو عني بعنانه، وما بخل عليّ يوماً بحسن بيانه -أفضي إليه بمكنون فؤادي، في صمت بلا همس، وألم بلا دمع، وحزن بلا تأوُّه، وأنا بين ظَنَّين اثنين، لست أُرجح أحدهما على الآخر، غير أن ما صرت إليه من عناء، وتلبثت على رمضاء، وقرار على رماد، يؤزرني شديداً للكتابة، محتسباً ما أمضين من جهد ساعات فيها عند الله، أرجو ثوابها يوم لا ينفع نفساً إلا صالح عَمَلٍ أسلفته لها.

ولعل هذا وحـده يكفي ، ولكن يا بني تعلم ، أن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن ، يقلبها كيف يشاء ، والأمر أولاً وآخراً بيده ، من هنا فقد بتُّ على ما يشبه اليقين أن سيكون لكلماتي هذه قبول عندك ، تلقاه رضاً من الله عليك ، وحبّاً في صدور الناس ، تجد له حلاوة في قلبك ، وتذرف بها عيناك دمعة من فرح ، وترتسم بها بسمة وارف ظلها على شفتيك ، من رغبة في رجاء فيما عند الله ، وتحدث راحة تشيع في صدرك من حرص على إحسان ، امتثالاً لقوله سبحانه : ﴿**وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً**﴾ ، وتستذكر بها أن الجنة عند أقدامهما .

واعلم يا بني -والذي أخرجك من عدم ، وسوّاك بفطرة السَّدَم ، وخلقك لتعبده ، فَإمَّا إلى زلَّة مهلكة ، وإما إلى ثبات على الصراط للقدم- أنك ما كنت عندي يوماً -ولا تزال- إلا ذلك الوليد الصغير ، الذي جَاءَ على حين لهفة ، يدثِّره الشوق الآمل ، ويزَمِّله الشِّعار النَّاعِم ، وَيَحُوطه الحُبُّ الراحم ، عشنا بك وفيك فرحةً عارمةً ، ظلّت في حياتنا -ورجائي في الله كبير أن تبقى- زَمَاناً ، حتى إني لأكاد وأنا أستذكرها ، أقول : إنها أحلام اليقظة ، ما لبثتْ أن تبدّدت على مرارة الواقع ، بيد أن ظنّي بِالله حسنٌ ، فهو المحيي العظام وهي رميم ، والله على جمعها إذا يشاء قدير .

واعلم يا بني العزيز ، أَن عمر الإنسان ينقضي بانقضاء الليالي والأيام ، ويذهب بذهاب الشهور والأعوام ، ويفنى بفناء الظنون والأوهام ، وليس بالعاقل ذلك الذي لا يبتدر أجله المحتوم بالصالحات ، وتنقطع به لذائذ البدايات عن نوال متاعب النهايات ، ومقاطع الغايات .

واعلم يا بني : أن عمر الإنسان يبدأ في النَّقص منذ اللحظة التي يولد فيها ، وكلّما رقى في سلّم عمره يوماً نزل فيه يوماً ، حتى إذا وصل أعلى السلم كان قد وصل في الوقت نفسه أدناه ، ويقف الإنسان في هذا السلّم عند اليوم الذي يبلغ فيه سنّ الرشد ، ليبدأ يعقل عن ربه سبحانه الخطابات السماوية ، على مقتضى الحكمة الإلهية ، بما يوافق عقيدة التوحيد التي ارتضاها ربُّ العباد للعباد .

وفي هذا اليوم يكون التحول ، الذي لا يصلح أمر العبد بعده إلا بخضوعه واستجابته لهذه الخطابات التكليفية ، فإنِ العبد مال عنها ، أو زاغ عن مراد الله فيها ، وامتطى ظهر الهوى ، واعتلى متن الرغائب ؛ فقد أصار نفسه إلى غير رشد ، وأفلت زمامه من يد التوفيق ، وأسلمها إلى غير عافية الهوى ، ثم هو من بعد موبقها -عياذاً بالله- إلى غمرة العذاب ، ولا رادّ له عنها ، إلا أن

تدركه رحمة من ـ الله سبحانه- بعد مسٍّ عذاب يطول بذنْبه أو يقصر ، وليس يغيب عنه يومئذ : أن الله سبحانه قد أملى له حياته ، ووسعه حلمه ، فلمَ يَلمْ نفسه بسوء عمله ، كي يكفّها عن غرور ألمَّ بها ، فعقرها ، وأوثقها إلى طُنُبِه .

واعلم يا ولدي العزيز : أن الله لم يملك الإنسانَ عمره ، بل جعله إليه وحده ، ينهيه متى شاء ، ويقطعه كيف أراد ، وأراده أن يسعى منذ أن يكلّفه ، وإلى أن يلقاه ، في طواعين المخبتين ، وإخبات الطائعين ، ثم ليقف بين يديه ليسأله : عن عمره فيم أفناه؟ وعن جسده الذي أحاطه إهاب عمره فيم أبلاه؟ وعن ماله الذي حازه بجهد عمره فيم أنفق؟ وعن علمه الذي زيّن به عمره ماذا عمل به؟ فاحرص يا بني أن لا تنفق ساعة من عمرك هذا ، إلا وأنت قابض بقلبك ، وكلتا يديك على حبل عبادته ، وعروة طاعته ، في صدق إخلاص له ، وحسن استقامة على أمره ونهيه ، فَأْت ما أمرك الله ، مخلصاً له الدين ، ودع ما نهاك عنه نادماً على ما فرط منك .

واعلم يا بني : أن للطاعة نوراً يديم الهداية إليها ، وأن للمعصية ظلمة تغطي القلب لن تزول إلا باجتنابها وقطع الوصل بها ، والحسنات يا بني يذهبن السيِّئات ، فإنهن إذا اجتمعن على العبد ، أمسكت بجمع يدها بناصيته ، واقتادته بها إلى شفا جرف فانهار به في نار جهنم .

واعلم يا ولدي : أن الله سبحانه قد هيّأ للطاعة سبلها ، ودلّ العبد عليها ، وهداه إليها ، وجعل للمعصية أسبابها ، وعرّف العبد بها ، وحذّره منها ، والطاعة يلازمها الاطمئنان والتوفيق ، والمعصية يلازمها القلق والتّحيُّر ، فإذا لم يكن من الله عون لك في درء السيِّئات ، وجلب الحسنات ، فقد صنعت لنفسك سربالاً أسود قاتماً ، لا يراه الناس بعيونهم ، ولكن يعرفه الصالحون بقلوبهم ، فينأون عنك ، ويفردونك بعزلة ، يضعونك فيها بين مخالب الشيطان ، فتكون له صيداً سهلاً لذيذاً ، يسّرك لنفسه في أيّة ساعة من ساعات حياتك ، بل وفي كل دقيقة ، فلا تملك إلا أن تطيعه في كل ما يوسوس به إليك ، وأنت فرح لا تداخلك في طاعته ندامة ، ولا يخالطك في الاستجابة لوسوسته إلا السرور والرضا .

واعلم يا ولدي : أن الزمان قد تقارب ، فصارتِ السَّنةُ شهراً ، والشهر أُسبوعاً ، والأُسبوع يوماً ، واليوم ساعة ، والساعة كضرمة نار ، والعمر يجري معها ما تجري الريح بغبار يثيره عَصْفُها ، فلا تدعنَّ عمرك يا بني منهوباً ، مبدّداً ، مسلوب الإرادة ، حتى إذا ما دنا الأجل ، على مهل أو عجل -ولا يدري العبد أيأتيه الموت في مهده ، أم في

شبابه ، أم في شيخوخته- قلتَ : ليتني فعلت وفعلت ، واللّيت هذه لا تدفع ضرّاً ، ولا تأتي بشيء ينفع ، وهذا هو العجز والكسل ، فلا يكونن منك ذلك يا بني ، ووالله ما كان لستَ تدركه في شبابك وأنت مدبر عن الحياة ، وتنسى هذا الحق له وأنت في صدر القوة والشباب .

واعلم يا بني : أنه ليس أفسد للفطرة ، ولا أضر بصبغة الله في النفس ، من أن ينزع العبد عن نفسه عذار الحياء ، ويهتك عنها ستر الله ، والحياء يا بني شعبة من شعب الإيمان ، وبه يعانق العبد رجاء الإحسان ، وينال ما ينال من الخير من فيض الرحمن ، وأولى ما يكون الحياء من الله ، أما الحياء من الناس ، فهو شيء يسير جدّاً جدّاً من الحياء الذي ينبغي لله سبحانه ، وليس من التقوى أن يستحيي العبد من عبدٍ مثله ثم لا يكون منه حياء من ربه ، فيصيب في خفية من الناس ، فكيف أن يقارف ذنباً من غير حياء من الله -والله الأحق أن يستحيا منه- فذاك شرك أصابه أو يصيبه من تَعَمّي السبيل عليه إلى رحمة الله سبحانه ، فاحرص رعاك الله يا ولدي على أن يظل الحياء من الله هو الدثار ، والحياء من الناس هو الشعار ، فإذا ما كان الحياء للعبد شعاراً ودثاراً ، فقد أمن العاقبة ، وأنال نفسه من البر ما لا يعلمه إلا الله وحده سبحانه ، ولو وقف العبد بنفسه عند الحياء من الناس ، لما صلح عليه بأمر الآخرة ، لأن للناس أعرافاً وعادات بسطت رواقها ، ثابتة في أرض حياتهم ، ومع الأيام لا يجد -من خلع عذار الحياء من الله- بدّاً من أن يخلع الحياء من الناس ، ويشق عليه أن يخالف عن العادات والأعراف التي فشت وشاعت فيهم ، وكلما طال به عمره -أو لِتَقُلْ نقص- صار الحياء شيئاً غير مرضيٍّ عنده ، فيخالطهم بعاداتهم وأعرافهم ، ولا يسأل من بعد -إلا أن يكون غير خارج عن تِلْكُمُ العادات والأعراف فيعرف في لجة الحياء ، التي رضي للناس فيها لأنفسهم أن يكونوا في أوهاق الشرك ، والوثنية والفسوق ، والعصيان ؛ طاعة للشيطان ، وتمرّداً على دين الرحمن .

واعلم يا بني : أنه لا يَجْمُلُ بمن خلقه الله حرّاً ، عزيزاً ، سويّاً ، أن يختار أن يكون عبداً لغيره ، وأن يسلم أمر نفسه لغير ربه ، وأن ينزل لغير من سوّاه فأحسن خلقه ، ولا أعون للإنسان على أن يبقى ، سويّاً ، عزيزاً ، حرّاً من صحبة الأخيار ، فألزمْهم نفسك ، وألْزِم نفسك إياهم ، ولا تفرّط فيمن تعرف خلّة الصدق والوفاء منه ، ولا يكونن منك إليه إلا المودة الصادقة ، والنُّصح الأمين ، والرِّفق الحليم ، ولا تنس قول نبينا عليه الصلاة والسلام : «إنما مَثَلُ الجليس الصالح ، وجليس السوء ، كحامل المسك ونافخ الكير ، فحامل

المسك إما أن يُحْذِيَك ، وإما أن تبتاعَ منه ، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة ، ونافخ الكير ، إما أن يحرق ثيابك ، وإما أن تجد منه ريحاً منتنة» .

ولعلك تخطئ جداً ، وجداً تخطئ إن أنت فرَّطت في صديق صالح ، حتى وإن وجدت منه أحياناً ما تكره ، فليس في البشر من يخلو مورده من شيء يكره ، ولو أن الناس لم يخطئوا لما عرف فيهم ولا منهم الصواب ، ولعلَّ هذا شيء من معنى قوله عليه السلام : «لو أنكم لم تذنبوا لخلق الله خلقاً يذنبون فيستغفرون ، فيغفر لهم» ، فهي حيلة في البشر أودعها الله فيهم ، وعزيزٌ جداً ، ومؤلم جداً ، أن يرى المرء ولده وهو يدع الأخيار ، وينأى بنفسه عنهم ، ليكون أقرب مودّة إلى من يحب أن يكونوا موضع ريبة ، والحذر منه ، وقد رأيت التشبيه الذي ساقه لنا البشير النذير ، كيلا يكون من حجة لأُمته عليه يوم القيامة ، فحاذر بنيَّ -رعاك الله- صحبة الفُجَّار ، أهل السوء ، قرناء إبليس ، واستمسك بأهل الفضل والإحسان ، يكن ذلك لك عوناً على كل خير تحرص عليه في حياتك .

واعلم يا بني أنِ حسن الخلق ثروة عظيمة ، من فقدها ؛ فقد أقبل على فاقة ، وأحلَّ بنفسه خسارة ، وأضاع دنياه ، وربما أضاع الكثير من أُخراه ، والرسول عليه الصلاة والسلام يقول : «إن أثقل ما يوضع في الميزان يوم القيامة حسن الخلق» ، ويقول : «إن أقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً» ، ويقول : «إن حُسْنَ الأَخْلاَق يطيل في الأعمار ، ويعمّر الديار» ، فلا تكن يا بني مفرِّطاً في هذه الثروة التي لا تكلفك - إنْ كلّفتك -إلا أن تنال أجراً وفيراً ، وإن أنت أضعتها فقد حصدت بيدك لنفسك شرّاً يا بني ، ولا يصلح أمر العبد في الدنيا بين الناس ومعهم ، إلا بحسن الخلق ، ولعلَّ ما يولَّد مع الإنسان من نفرة في الطباع ، وسوء في الأخلاق ، وغلظة في اللسان ، لا يطول بقاؤه في المسلم ، إلا ريثما يزول ، وذلك بتذكُّره أنه سيخسر قرب النبي ﷺ في الآخرة ، أما في الدنيا ، فإنه يخسر مودّة الناس ، والانتفاع بالخير الذي يكون مِنْهُم ، ولا يبقى على واحد يستأنس به ، ويحبُّه ، ويرضاه لمودته .

واعلم يا بني أن تقوى الله سبحانه ، هي الذخيرة التي لا تعدلها ذخيرة ، فهي وصية الله للأُمم كافة على ألسنة رسلهم : ﴿ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله﴾ وهي حصن الولاية ، : ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ ، وهي التي ينتفي بها الزيغ ، ويذهب عن النفس بها الشتات والقلق ، ويأنس بها المرء في

وحشة الحياة ، ولا يصيب إلا الهناءة والرضا ، وتفويض الأمر كله لخالقه ، وليس نوالها إلا بالشيء العزيز لمن رغبها ، وأرادها لنفسه ، وأدار كأس حياته في أرجائها الواسعة .

وهي أولاً وقبل كل شيء وصية المصطفى ﷺ : «اتق الله حيثما كنت وأَتْبِع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلقَ حسن» فانظر رعاك الله هذه الوصية بعين بصيرتك ، وتدبرها بفطنة قلبك ، واجعلها شعار نهارك وليلك .

واعلم يا بني ، أن أعظم الإحسان للنفس لا يكون بمثل مداركة المرء الخطأ الذي كان منه ، ومسارعته من قبل أن تحوّل إلى عادة فتسهل عليه من بعد الخطيئة ، فيصيب منها ما لا قبل بردّه عن نفسه ، ويستسهل وعرها قبل سهلها ، وحَزْنَها قبل أمتها ، وهل يكون من بعد ذلك قادراً على مجانبتها والخروج من عَنتها؟! والله سبحانه يقول : ﴿والله يحب المحسنين﴾ ، وأي إحسان أعظم من أن يحسن العبد لنفسه بطاعة الله ، وطاعة نبيّه ، وأخذه إياها بعزائم القربات؟!

وليس عيباً للإنسان يا بني ، أن يكاشف نفسه هو بما أصاب من ذنب ، وقارف من خطيئة ، ليعود عليها باللائمة المنيبة إلى الله سبحانه ، الرّاجمة بمثقلات الندم ، العاقرة ما يساوره من الذنوب والآثام من قبل أن تحل بقربة فتغريه بأسبابها ، وهو -ولا ريب- يعلم من نفسه ، ما لا يعلم منها إلا الله ؛ هل هو على عزيمة صادقة في أمره؟! أم أنه يفرُّ منها وصوت من أعماقه يدعوه في كل ساعة : أن يا عبد الله! أسرع إلى نفسك بالتوبة والإنابة إلى ربك من قبل أن يأتيك أجلك ، وأنت مقيم على ما يسخط الله عليك ، فالله سبحانه يغفر الذنوب جميعاً ، ويتوب على العباد إن هم تابوا وأنابوا ، وهو سبحانه غافر الذنب فلا تشرد ، وقابل التوب فلا تيأس ، وشديد العقاب فلا تفرط ، والعبد إن حاذر الخطيئة من خشية الله ، وحرص على الطاعة من رغبة فيما عنده من ثواب طامعاً في رحمته ، كان على خير عافية بين هاتين المنزلتين تستاقه منها كلاء الله سبحانه في سداد أمر ، وهناءة رغبة ، وشفافية حاله ، إلى واسع النعيم المقيم .

واعلم يا بني ، رعاك الله أن سهام القضاء لا تخطئ مواقعها ، وأن ما أصاب العبد منها لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه ، فإذا ألمَّ بالعبد ما يكره -وظن أنه بذنب قارفه ، أو من بلاء حلَّ به - ؛ فليس له منه منجىً ، إلا أن يعجل إلى توبة من ذنبه هذا ، وعمل صالح يقيم عليه ، لا ينبغي عنه حولاً في نفسه ، ثم يرفع يديه إلى الله في إخبات رضيٍّ ، وتسليم تامٍّ ، وتفويض خالص ، فيكون دعاؤه بإذن ربه سهاماً قويّة

صائبة تدفع عنه القدر ، وكم عرفت الدنيا من أولئك الصالحين ، الذين كان البلاء يلوذ بهم ، والشِّدة تستكين بين أيديهم ، تُستَمْطَرُ بهم السماء ، وتُستنبت الأرض ، وتُكفُّ البأساءُ والضراء عن الأخيار والأشرار من العباد ، وما دام حيّاً فهو بين نعمة تمشِ من بين يديه ، وبين بلية تتبعه من ورائه لتنال منه ، وتارة تتقدم هذه ، وتتبعه تلك ، لكنه لا يدري في أيهما الخير له ﴿**وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شرٌّ لكم ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون**﴾ ، وكم هُم أولئك الذين غرقوا في الترف ولا حظ لهم من نعيم الآخرة؟! وكم هم أولئك الذين تشقّقت جلودهم من الفقر ، وهم أسعد الناس -بصبرهم وتقواهم وتسليمهم أمرهم كلَّه لربِّهم- في الدنيا والآخرة؟!

واعلم يا بني ، رعاك الله أن الصدق أملك للِّسان من الكذب ، ولا والله ما حُفظ اللسان بمثله ، وأنه ليس أضيع له من الكذب ، ولا جرَّ البلاء لصاحبه مثله ، ولا قادهُ إلى المعاطب إلا هو ، فاجعل منه لسان صدق في حياتك ومن بعد موتك ، يكن لك عافية تردُّ عنك حرَّ العذاب ، ويغدق عليك فرحاً لم تعرف أسرع منه ، وينيلك من حب الله والعباد ما لا يكون إلا به وحده ، ولو عقل الإنسان ما يدركه بالصدق ما فكَّر في الكذب يوماً ، ولو علم ما يعقبه له الكذب ما جانب الصدق ساعة ، وليس يَسْهُل الكذب إلا على من عقل الشيطان لسانه إليه ، ونفث من روعه فيه ، وأغراه بعاجل منفعة به ، فكن من الكذب على حذر ، ولا تزهد بكلمة من الصدق ، فالصدق زاد المتقين ، والكذب جراب الفاسقين ، وما حذَّر ربُّنا عباده مِنْ شيء فِي كتابه ما حذَّرهم من الكذب وحضَّهم على الصدق ، فعاقبته إلى نُجح ، فانظر يا بني ما تختار لنفسك ، فإما أن ينجيك ، وإما غير ذلك ، فتسعد بالأُولى ، وتشقى بالثانية لا قدّر الله ، واستبصر بمن جرى ذكرهم على ألسن الخلائق والتاريخ .

وَاعلم يا بني أن الفشل لا يكون بما يدركه الإنسان من خسران ما كان يرجو من منافع دنيوية ، إنما الفشل الباهظ ، الذريع ، المروّع ما يفوته من عمل يُفَوِّت عليه أجر الآخرة ، ونعيم الجنة ، وعمل الآخرة هو الطاعة كلُّها ، ما هدينا إليه بآي القرآن ، وسنة نبيِّ الإسلام عليه أفضل الصلاة والسلام ، والإخلاص فيها ، وتجريدها من الرياء وغيره ، مما به ينتقص الثواب ، فاستمسك يا بني بهما ، فما ضلت الأُمة ولا شقيت إلا حين إعراض السواد الأعظم منها عنهما ، وأخلِصْ لله في طاعته ، وإياك إياك أن تحقر عملاً ما ، فإنه ربما كان إرجاحاً لكفَّة عملك الصالح يوم توزن الأعمال بميزان لا يبخَسُ العبد به شيئاً ،

وإني لأعجب كيف يستيئس المؤمن من إدراك شيء فاته ، يحسبه خيراً ، أو من درء شيء عنه يحسبه شراً ، والله هو الذي يقدّر الخير والشر ، والعبد لا يدري أيهما أنفع له أو أضر ﴿عسى أن تحبوا شيئاً وهو شرٌّ لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خيرٌ لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ ، فما عليك إلا السعي بالأسباب التي هيّأها الله ، واحتساب ما أصابك عنده ، ونفويض الأمر إليه ، ثمَّ والصبر على ما يكون أو الشكر .

واعلم يا بني أن من أفضل كسب العبد ما ينفع به الناس ، ويكسب حبَّهم ، ويدفع أذاهم ، وأن الوالدين والأقربين هم أولى الناس بهذا ، وليس بالعاقل من يكسب ودّ الناس ، ويصنع الخير لهم ، ويحرص على أسبابه ، ثم إذا علم أن مثل ذلك يكون لوالديه وذوي قرباه ، قبض يده به عنهم ، وصدّهم ، وأنالهم من أذى لسانه ، وسوء خُلقه ، واستطالته بجهله ، وإبراده بسوء تفكيره وتدبيره ، ما لا يحسب به إلا على عداوة كابحة كالحة ، واعلم أن الربح والخسارة في الدنيا والآخرة لا يكون إلا بما أذن الله وشرع ، وأباح وحظر ، وأمر ونهى ، فكن على بيّنة من أمرك في هذا كلّه .

بنيَّ رعاك الله :

ما وددت أن أكتب إليك ، وكم وددت أن يكون ما كتبت حديثاً معك ، لكن هَذَا كُلّه لك ، فالقلب ملئٌ بأخلاط وأوشاب ، يشق عليك ميزُها ، وفصلها بعضها عن بعض ، فأكتفي بهذا الذي كتبت ، وأسأل الله أن يوفقك ، ويهدي قلبك ويذهب ما بك من سوء التصور والتفكير ، ويردك إليه بحسن طاعة ، والبعد عن معصيته .

وأرح أبويك من عَناء ما يقاسيان من أجلك ، فرِضا الله من رضاهما وفيه ، ولا يوفق الولد بمثل ما يوفق بطاعته ربه ، ثم بطاعته والديه ، فاحرص -عليك من الله سلامه ورضوانه- أن لا يكون منك لك ، وإليك ، وعليك ، وبك ، وفيك ، إلا الحرص على الجنة ، وانزع ثوبك الذي ألِفته ، وارتد ثوباً آخر غيره ، ثوب الطاعة .

واعلم يا بني ، أن شرف الإنسان في كسبه رزقه بكدِّ يمينه ، وعرق جبينه ، ولا خير في إنسان يتوكأ في رزقه على غيره ، وكفى به ضيعة أن يعوِّل على أحد ، فإما يعطيه ، وإما يمنعه ، واليد العليا خير من اليد السفلى ، وعزُّ المسلم في صونه نفسه عن مَنِّ الناس بعطيّتهم ، فلا تدع الوقت يمضي وأنت غافل عن نفسك ، حتى إذا ما أيقنت أن الأمر جدٌّ لا هزل ، وأن عاقبة الإنسان إلى عجز يلجئه إلى ذي لُؤْم ، أو إلى ذي قرابة منَّان ، أو إلى صديق قُلَّب ، قلت في نفسك ، والندامة عاضّة بقوارضها يدك :

يا ليتني أطعت أُمِّي وأبي فيْ نُصْحِهما ،

ورضيت الذي رَضِياهُ لي ، فاستبق يا ولدي لنفسك من الصالحات ، ما لا يقام عوج العبد إلا به ، وليتك يا بني لا تضيع شيئاً مما أذكره لك ، وأنصحك بِهِ ، فإهابي الضعيف خيوطه تجارب السنين ، التي لا عدّ لها ولا حصر ، ولا تجعل بيني وبينك حجاباً ، تواري به صفحة وجهك مني ، لتخفي عني من سريرة صدرك ما لا قبل لك بإخفائه .

وإياك أن تقول : اليوم ، أو غداً ، أو بعد غد ، فذاك التسويف الذي يورد الندامة ، ويزهق روح العمل ، ويُردي سربال القنوط .

وآخر ما أقوله لك : احرص أَشد الحرص ، على أن يخرج والداك من الدنيا وهما راضيان عنك ، وليس الكاسب رضاهما كالخاسرة ، فطب نفساً إن لم تكن خصماً لهما يوم القيامة بين يدي الله سبحانه ، فإنهُ لِمَنْ شِقْوةِ العبد في الدنيا والآخرة أن لا يكون الولد خصماً لأبويه بين يدي الله سبحانه ، ولا تنْسَ أن لا يكون حاضراً في قلبك دائماً قوله سبحانه : ﴿**وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً**﴾ وقول النبي ﷺ : «بَعُدَ من أدرك أبويه أو أحدهما عنده الكبر فلم يدخلاه الجنة» ، واسلموا أبنائي أينما كنتم جميعاً : لدينكم ، وأُمَّتكم ، وآبائكم ، وأُمَّهاتكم .

■ ■ ■

قال أيوب السختياني رحمه الله: "إذا بلغني موت أخ لي؛ فكأنما سقط عضو مني".

السلفيون والسياسة

بقلم :
الشيخ
سليم بن عيد
الهلالي

□ تقدّم ذكر السياسة التي نكرهها وننكرها ، ولا نحبُّ أن نذكرها ، ونبرأ إلى الله من أغلالها ، وإصرها ، وشرِّها ؛ فهي قرين النفاق ، وبريد الخداع ، وسُلَّم الذين يعبدون الله على حرف .

أما السِّياسة بمعناها الإسلامي النقي ، وواقعها الإيماني التقي التي ترعى شؤون الأُمة الربانية التي تأخذ بيد البشرية إلى مدارج التقدم ، وميادين الرقي ؛ فيتميز السعيد من الشقي ، فهذا أمر دونه الأرواح والمُهج ، وإن حاول الخالفون أن يثيروا علينا الرَّهج .

إن السياسة الشرعية تعني : الإحاطة بالأحكام السلطانية ، ومعرفة حقوق الراعي والرعية ، وتقويم الحقائق بالموازين الشرعية ، إذن فهي رعاية شؤون الأُمة الإسلامية .

ولقد كانت بنو اسرائيل تسوسهم الأنبياء ، أما هذه الأُمة فيسوسها العلماء الذين هم ورثة الأنبياء ؛ لأن الأنبياء لم يورِّثوا ديناراً ولا درهماً ، وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذ به فقد أخذ بحظ وافر .

ولقد كان لعلماء هذه الملة أكبر نصيب من ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسَعَوا يربّون قرون هذه الأُمة على منهج النبوة علماً ، وعملاً ، وسلوكاً ، حاديهم في ذلك قوله سبحانه : ﴿**ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون**﴾ .

والرباني : هو العالم البصير بسياسة الناس ؛ فيربِّيهم على صغار العلم قبل كباره على منهاج النبوة .

وصغار العلم : هي المسائل والأعمال التي يطيقونها ، وليس كما يتوهم أنصاف المتفقهين ، وأرباع المثقفين ، وأسداس المتعالمين : أنها الأمور التي يحلو لهم تسميتها بالمسائل الفرعية ، أو الهامشية ، أو السطحية ، أو القشور ؛ فإن هذا التقسيم بدعة ، وقسمة ضيزى ؛ كما بينتها في كتابي «دلائل الصواب إلى إبطال تقسيم الدين إلى قشر ولباب» .

إن أَولى الأولويات : مسائل التوحيد ،

والعقيدة ، والإيمان ؛ فالعقيدة أوّلاً لو كانوا يفقهون كما علمنا رسولنا صلى الله عليه وسلم : «إنك ستأتي قوماً من أهل الكتاب فأول ما تدعوهم إليه أن يعبدوا الله وحده» وكأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يتأول قوله تعالى : ﴿**فاعلم أنه لا إله إلا الله**﴾ .

بهذا التصور الإيماني تكون الأمة عاملة في كل الأوقات ، حتى إذا لاقوا العدو ثبتوا ؛ لأنهم يعلمون أن الجنة تحت ظلال السيوف .

ولذلك فإن تكليف الأُمة أفراداً وجماعات ما لا تطيق ؛ لأنها ليس لها إلى ذلك طريق جهل مركب ، واتباع لِبُنيَّات الطريق . . . وهذا ما يقصده شيخنا محدث العصر وحافظ الوقت أبو عبدالرحمن الألباني حفظه الله بقوله : «من السياسة ترك السياسة الآن» .

إن هذه النظرة الصائبة هي التي آل إليها أمر كثير من الدعاة الذين اشتغلوا بالسياسة من بواكير الصبا ، ولكنهم رأوها بأخرة لا تروي غليلاً ، ولا تشفي عليلاً ، ولا تهدي من اتبع مساربها سبيلاً ، بل كانت ظهيراً للمجرمين على تقتيل الدعاة الإسلاميين دون أن تهتز في المسلمين شعرة أو يضطرب منهم قلب!

إن المطلوب الآن : هو إيجاد القاعدة الإيمانية الصلبة التي ينبني عليها كيان الأُمة كلِّها في سبيل تحقيق العبودية الشاملة الكاملة لله رب العالمين ، والتي تصطبغ بها كل مناحي حياة الناس . . فهل أعطى الإسلاميون هذا الاتجاه شيئاً من اهتمامهم؟!

إن تكوين القاعدة الإسلامية لا يعني تجميع أشتات من الأهواء والفرق ؛ فإنها لو بلغت الحكم فعندئذ يفجر أعداء الإسلام هذه الألغام الموقوتة ؛ فتصبح هذه الأشتات أحزاباً تتصارع على السلطة ، وعندئذ سيلقي أعداء الإسلام في ظلال أجهزة إعلامهم المرئية والخفية للجماهير المسلمة ؛ قائلين لهم : انظروا ماذا يصنع هؤلاء الذين ملؤوا الدنيا صراخاً على الدولة الإسلامية ، وإقامة حكم الله في الأرض . .! وهكذا يصبح الإسلاميون مَثَل السوء لأُمتهم ، وما يجري على أرض أفغانستان المسلمة ليس عن أُولي الألباب بغائب ، وما يحدث في الجزائر المسلمة ليس عن المتابع للأحداث ببعيد .

ولذلك قد يغتر كثير من الدعاة بالحماسات العاطفية للجماهير ، ويخدعه كثرة الأصابع المرفوعة ، ويغره حشود المهرجانات المجموعة ؛ فيقع على أُم رأسه ، وأمامنا بسطة من التجارب المعاصرة ، ووفرة من البراهين . تدل على خطورة هذه النظرة السطحية العجلى القاصرة ، منها تجربة الشيخ حسن البنا في مصر ؛ فقد فرّت جموع

الإخوان التي كانت تهتف له في المركز العام في القاهرة عندما وقعت الضربة عام ١٩٤٨م . نعم ، لقد فروا إلى غير رجعة ؛ كما قال محمد قطب في كتابه «واقعنا المعاصر» (ص ٤٠٨ ـ ٤٠٩) : «فرت كثير من الجموع التي كانت تتحلق حول الإمام الشهيد[١] في درسه الأسبوعي ، فتملأ المركز العام لجماعة الإخوان المسلمين ، وتملأ الشوارع المتفرعة حوله حين رأت أن الأمر ليس عرضاً قريباً ، ولا سفراً قاصداً ، وإنما هو جهاد وعذاب .

كما فرت الجموع التي كانت تستقبل الإمام الشهيد كلما تنقل في مدن القطر أو في أريافه في رحلاته الدائمة ؛ التي لم يكن يفتر عنها»[٢] .

وتجربة جبهة الإنقاذ في الجزائر التي بلغ عدد أتباعها ملايين كثيرة ، وفازت بالانتخابات البرلمانية بنسبة عالية ومع ذلك فقد قلبت لها قوى الاستكبار العالمي وقوى المكر الداخلي ظهر المجن على مرأى العالم وسمعه .

فهل يقف المستعجلون لحظة تدبر ، ويقرون أنهم ارتكبوا في حق دينهم وأمتهم وأنفسهم ، حماقات كلّفتهم صفوة شباب اليقظة الإسلامية أم على قلوب أقفالها؟!

■■■

(١) هذا ما يطلقه مفكرو جماعة (الإخوان المسلمين) على (مؤسس حركتهم) وهو افتئات على الحقيقة ، ومخالفة للشرع .

(٢) ذِكْرُنا لهذا الكتاب ليس تزكية له ، ولكنه من باب ﴿وشهد شاهد من أهلها﴾ ، ولقد بينت أباطيله وافتراءه على منهج السلف الصالح ، وأنه رأس حربة أفراخ الخوارج المعاصرين في رسالة مستقلة هي : «عقد الخناصر في بيان أباطيل كتاب واقعنا المعاصر» .

قال عمر بن ذر لأبيه: "يا أبت ما لك إذا تكلمت أبكيت الناس، وإذا تكلم غيرك لم يبكهم؟".

فقال: "يا بني ليست النائحة الثكلى مثل النائحة المستأجرة!".

الإعلام الإسلامي في مواجهة التغريب

الشيخ د. صالح بن غانم السدلان

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أما بعد ؛ فإن الدعوة إلى الله تعالى غايتها تبليغ الرسالة مصداقاً لقوله تعالى : ﴿يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ .

وكان عماد التبليغ سابقاً الكلمة ؛ منطوقة ومكتوبة ﴿لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ .

﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ .

وما زالت الكلمة إلى اليوم هي المجال الرحب ، والميدان الفسيح ، لتبليغ الدعوة وإعلان الرسالة ؛ فبانتهاء الطور السري للدعوة الإسلامية في مكة ـ وهو طور قصير واستثنائي ـ بدأت مسيرة الإسلام الإعلامية والعلنية :

﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ .

وكان من نماذج عرض الدعوة هذا القول المحدد : ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُمْ مُّسْلِمُونَ * فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَى سَوَآءٍ﴾ الآية ، أي : أعلمتكم بما عندي فأصبحنا جميعاً : أنا وأنتم سواء في معرفة العقيدة التي أُنادي بها! فإن انصرفتم بعد ذلك فعن تجاهل لا عن جهل ،

(*) «الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية النظرية والتطبيق» من (ص ٢٧٨ ـ ٢٨٩) «بتصرف» ، (ص ٢٩٦ ـ ٣٠٩) «بتصرف» ، و«بحوث ودراسات في الدعوة والإعلام» (ص ٢٢٠) ، و«وسائل مقاومة الغزو الفكري للعالم الإسلامي» (ص ٧٢) وما بعدها ، و«مناهج التعليم في المساجد وأسلوب التدريس فيها» (ص ١٩) ، «مكانة الاتصال الشخصي في الإعلام والدعوة» (ص ٣٦ ـ ٧١) «بتصرف» .

إذ إني أفرغت جهدي في البلاغ المبين! إن ما أدعو إليه معروف لكم ، كما هو معروف لي!!

فكما أن رسالة الإسلام عامة إلى الخلائق ، لا يشذ منها أحد ، فكذلك قواعد الإسلام يجب أن تقدم كلها عن طريق أجهزته العاملة ؛ فلا يخفى منها شيء بحيث يكون الداعي والمدعو سواء في الإحاطة بمحتويات هذا الدين دقيقها وجليلها .

إن الجهاد باللسان ، وهو بذل الجهد باللسان ضد الانحراف للعودة إلى حظيرة الإسلام ، أو للدخول من جديد من أول ما يدخل فيه تبليغ الدعوة ، وإقامة الحجة على الكافرين ، والمنافقين ، والفاسقين ، قال تعالى : ﴿فَلاَ تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَاداً كَبِيراً﴾ .

أي : بالقرآن ، وتشمل الدعوة باللسان القول والتبليغ به هو جهاز الدعوة الإعلامي والثقافي ، والتربوي ، والإرشادي قال تعالى : ﴿قُلْ يَأَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ وقال تعالى : ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى﴾ وقال تعالى : ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً﴾ .

وقل هذه : أداة إعلامية ذات ثلاثة عناصر متحدة : «القول ، والقائل ، والمخاطب» ، وصياغتها في فعل إمر إلزامٌ من اللّه للمسلم بأن يقول الحقيقة ، ولا يكتمها ، والتزام من المسلم بأن ينطق ولا يصمت ، ويعلن ولا يسر .

لهذا كان للقول أهمية كبرى في الدعوة إلى الله تعالى سواء كان هذا القول ملفوظاً ، أو مقروءاً ، أو مسموعاً ، فالكلمة المنطوقة ، أو الصورة المرئية ، أو المسموعة المرئية ؛ تشترك مع القوة البشرية المتمثلة في الداعية بمختلف صفاته وخصائصه تعزيزاً له ، وتمكيناً لأداء رسالته ، وما قد يظنه بعض الناس صعوبة في طريق الدعوة إلى الإسلام اليوم إنما هو المهاد عينه والتطبيق ذاته ، فالإعلام المعاصر مجموعة أجهزة ووسائل تختصر مساحات المكان ، ومسافات الزمان ، وتخاطب أكبر عدد من الناس في أسرع وقت ممكن .

وهذه الأجهزة أشد خطراً من المدارس ، والجامعات ، ودور التعليم الأُخرى ؛ فهي تخاطب جميع فئات الأُمة صغاراً وكباراً رجالاً ونساءً ؛ متعلمين وغير متعلمين ، أغنياء وفقراء ، ولا شك أن توجيه الصحافة ، والإذاعة المسموعة ، والمرئية ، والمسرح ، وفنون الغناء ، والتصوير ، وغيرها من الأجهزة : تضمن تشكيل أجيال وفق قيم ومناظير مختلفة ؛ في قليل أو كثير عن روح الإسلام

وعقيدته . ونحن المسلمين ننظر إلى الإعلام ، وإلى وسائله الرائعة في هذا العصر الحديث على أنها إمكانات ضخمة لنشر دعوة الحق ، وأخذ الناس بها ، خصوصاً الأجيال الناشئة . . .! لهذا فإن صوت الإسلام في ميدان الإعلام يجب أن يكون جهيراً ، فالتعريف باللّه الواحد ودينه الحق قضية لا تعالج بفتور واسترخاء .

وإذا كان هناك من يعتبرون الإلحاد ذكاءً وتقدماً ، ويبذلون في سبيل نشره جهوداً مضنية ، فإن حملة الإسلام سيكونون أطول نفساً ، وأشدَّ غَيرةً ، وأرسخ قدماً ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلّهِ﴾ ويعني هذا : أن الإعلام الإسلامي وثيق الإيمان برسالته ، عظيم المغالاة بها ، وأن الصبغة العقيدية والعبادية لا يمكن أن تنفك عن أعماله ووسائله المختلفة ، وأجهزة الإعلام ؛ عندما تؤدي دورها ، والحالة هذه هي ميادين جهاد ومعاهدة دعوة ومساجد صلاة ومدارج تقوى ورضوان .

إن إعلامنا الإسلامي بوسائله السمعية : كالإذاعة ، والندوة ، والخطبة ، والمناقشة ، والدرس ، إلى غير ذلك ، ووسائله البصرية كالتلفاز ، والمسرح ، والفيديو ، وغير ذلك ، ووسائله المقروءة ، كالصحف ، والمجلات ، والكتب ، والنشرات إلى غير ذلك ، ووسائله الشخصية كالمقابلات ، والدعوة الفردية ، والمحادثات الهاتفية ، والمجاملات ، وغير ذلك ـ صورة لما نقول ، ونؤمل ، وصدى لما ننشر من خير الحياة والأحياء ، وأجهزته هذه حين تنهض بواجبها تغرس العقائد والعبادات التي تتبناها ، وتعلي شعاراً واحداً في برامجها ووسائلها كلّها ، ويصبح الإسلام في حياتنا الراهنة عقيدة وشريعة : ديناً ودنيا ، فكراً وأسلوباً ، منهجاً ودستوراً ، ولئن كان الإعلام ـ أمس ، واليوم ، وغداً ـ في هذه المرتبة العليا من الجدوى والنفاذ والتأثير ؛ فلا بد أن تصاغ النظرية الإسلامية في الإعلام وفق خطة تطبيقية منظمة في الإعداد البشري الإعلامي ، وفي المادة الإعلامية ، وفي تطويع هذه المادة ؛ لتؤدي دورها في حقل الدعوة الإسلامية ، وإذا أخذنا في الحسبان مجموعة الاعتبارات الآتية أدركنا أهمية الإعلام ودوره في التربية ، والإعداد ، والتوجيه ، والتثقيف :

* فهناك ملايين من المسلمين مازالوا أُميين ، مصدر معلوماتهم الرئيسي الاتصال بالمتعلمين ، وبالوسائط التقليدية مع الاستماع إلى المذياع ، أو مشاهدة التلفاز ،

فإذا لم توجه هذه الوسائل التوجيه السليم والفعال يمكن أن تتلوث معلوماتهم ، وتشوه أفكارهم .

* هناك ملايين من النساء لا إعلام لديهن ، سوى الأساليب التقليدية من مخاطبة ، ومشافهة مع جاراتهن ، ويأتي بعد ذلك المذياع يلتقطن منه الأخبار ، ويستمعن للأغاني والتمثيليات ، ونستطيع عن طريق الأركان المخصصة للمرأة في الإذاعة والصفحات المخصصة لها في الجرائد والمجلات أن نغرس فضائل كثيرة ، وأن نزود الفتيات والأُمهات بنصائح تعين على إنشاء جيل قوي منتج .

* هناك ملايين من الأطفال والشباب يتتبعون أخبار الكرة ، والرياضة ، ونجوم الفن ، والمجتمع ؛ في جلساتهم ، ومنتدياتهم ، وسهراتهم ، وملتقاهم عبر الإذاعة ، والتلفاز ، ويتساقطون على سماع ومشاهدة الأفلام الخليعة ، والمسلسلات الهابطة .

لهذا يبدو من الضروري أن تفكر أجهزة الثقافة والإعلام ، والدعوة والإرشاد ؛ في وسيلة تقترب من هذه التجمعات ، وتوجيهها من الداخل ، فعن طريق تنظيم ميسر لدروس ، ومناقشات ، وحوار ، وتفاعلات ؛ يمكن تطعيم كثير من المستمعين ، والمشاهدين ؛ بأفكار حية ومقاومة بدع منتشرة ومكافحة آفات متفشية .

الإعلام المقروء :

كما أن من قضايا التناقضات الموجودة أنه لا توجد مجلة تخاطب الشباب ؛ كما تخاطبه مجلات تبث أفكاراً مدسوسة ، ومعلومات مشوشة ، كصباح الخير ، وروز اليوسف ، وغيرها من المجلات التي على نهجها ؛ فلا بد من عمل إحصاء عما يقرؤه الشباب ، ولا بد من وضع الإطار الثقافي الصحيح لملء الفراغ الفكري لدى الشباب ، فيستطيع أن يأخذ قضية إسلامية في جيبه ، أو يجد مجلة إسلامية أمامه ، أو يجد فيلماً هادفاً موجهاً يراه ؛ لا بد أن تترابط هذه القضايا ، ويكون منها زاد للشباب ، وإلا تلقّفته المباديء الباطلة ، والدعوات الزائفة الأُخرى .

إننا إيماناً منا بجدوى الإعلام ، وعمق أثره ، واقتناعاً بأن للإسلام نظريته الإعلامية المتميزة نرسخ الإقناع بأن الإخراج التلفزيوني ، والتحرير الإذاعي ، والصحفي ؛ هو لسان عصرنا وأن من فقه الدعوة خطاب الناس بلسان عصرهم ، ووسائل زمانهم ، وأن أجهزة الإعلام الحديثة تيسير جديد أمام التطبيق الإسلامي ، والدعوة إلى اللّه ؛ إذا

أحسن الدعاة التكيف معها ، وتطويعها للإسلام .

وبعد ، فلئن كان للإعلام هذه الأهمية ، ويتبوأ هذه المكانة خاصة في زماننا ؛ فما هو واقع الإعلام في بلدان العالم الإسلامي؟! وما هي مكانته بين وسائل الإعلام العالمية؟!

فإذا أردنا الإجابة على هذين السؤالين بصراحة تحجُمنا عن المجاملة ، أو التحامل ؛ نقول :

إننا نعيش في عصر أقل ما يوصف به أنه عصر الحروب الإعلامية ، والصراع البارد ؛ لنشر الأفكار والمباديء ، وليس أدل على ذلك من الوسائل الضخمة ، والإمكانات الهائلة للإعلام ؛ التي يسّرتها المخترعات الحديثة ومن سوء حظ المسلمين في هذا العصر أن أعداءهم قد سبقوا إلى امتلاك هذه الوسائل الرهيبة من وسائل الإعلام ، وأجادوا فنونه إجادة خيالية تفوق الوصف ، فما يبنيه الإعلام الإسلامي في سنوات يهدمه الإعلام المضاد في لحظات ، وبسبب ذلك وجد دعاة الإسلام أنفسهم في حرب غير متكافئة ؛ امتلك فيها الباطل وسائل متقدمة جداً لنشر أفكاره ، وبث سمومه ، بينما المسلمون لا يملكون إلا وسائل ؛ لا أقول بدائية ، لكنها لا تقوى حتى على إبقاء ما لدي المسلمين من عقائد وإيمان .

نحن لا ننكر أنه بذلت جهود مباركة ـ تدعم العقيدة ، وتنير للناس دروب الحق ، ولكن لم تكن أقوى مما تبثه المؤسسات الإعلامية الكافرة من سموم ؛ فقد تربى جيل بعد جيل في ظل هذه المؤسسات يؤمن بالقيم الدخيلة ، ولا هدف له إلا التقليد ، والجري وراء كل جديد دون أصالة إعلامية إسلامية ، والسبب في ذلك : أن المؤسسات الإعلامية في بلادنا يسير فيها كل شيء كيفما اتفق كنهر متدفق زاخر ماؤه ، يتدفق هنا وهناك دون قصد ، أو غاية ، فما يبث من برامج دينية عبر إذاعة القرآن وغيرها قليل ، لا يطاول ، بل لا يقاوم ما تذيعه الإذاعات المحلية والبرامج العامة من برامج هابطة ، لا يستثنى من ذلك قطر أو مصر في العالم الإسلامي كله ، وكان من نتائج هذا التقصير المنهجي ما يرى اليوم من نقص في الثمرات ، أو تعثر في الخطوات ، ومن غياب عن الصراع الإعلامي العالمي ، وأنه لعجز غير معلل ثقافياً ، وغير مسبب منطقياً .

فلنعالج هذا التقصير بالوسائل الممكنة ، ولتكن المرحلة الأُولى في العلاج منع الازدواجية في الإذاعات الإسلامية ، والتجديد والابتكار في وسائل الإعلام ،

حتى يخدم العقيدة ، وينافح للدعوة ، ومن البرامج الطموحة التي يجب أن تضاء وسائل الإعلام بها :

* الدعوة لوحدانية اللّه سبحانه وتعالى والعبودية الخاصة له وحده دون سواه .

* تحرير الإنسان من عبودية العباد ، وإنقاذه من سيطرة الأهواء ، والشهوات ، والغرائز .

* الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر .

* إعلان حكم اللّه في كل أمر من الأُمور .

* مواجهة الحملات الإعلامية المعادية ، وتنشيط الروح الجهادية عند المسلمين .

* ترقية اهتمامات الناس ، والسمو بعقولهم .

* محو الأُمية بأشكالها المختلفة ؛ أُمية الفكر والحرف .

* السعي لتوحيد الأُمة فكراً ، وسلوكاً ، وولاء ، وإيجاد التعارف والتآلف بين أبنائها .

* تبني القضايا الإسلامية والمطالبة بحقوق المسلمين المستضعفين ، وتعريف الناس بالأقليات الإسلامية ، وما تتعرض له .

* تعرية الحضارة الغربية والشرقية الزائفتَين .

* تنقية الفكر الإسلامي من الشوائب التي علقت به .

إلى آخره من البرامج النافعة الهادفة ، والتي تتفق مع قواعد الشرع ، وتعالج قضايا العصر .

فإذا كان فيما تقدم بيان لأهمية الإعلام ؛ فإن من أهم مادته الجاهزة التي صيغت بعناية ، وانتقيت موضوعاتها ؛ ما تزخر به المساجد في العالم الإسلامي ، وفي كل بقعة ، والمتمثل في الخطبة ، والندوة ، والمحاضرة ، والدورات العلمية أعظم وسيلة للدعوة ، ونشر الوعي ، والثقافة المتوازنة ، والتي تربي الخلق والضمير عبر تتابع الأجيال .

وبهذا يجد رجال الإعلام بغيتهم ، ويحققون رغبتهم ، حيث تعطُّشهم للمادة الإعلامية ، والكلمة التوجيهية .

هذا ما تيسر جمعه في هذه المحاضرة .

وفق اللّه الجميع لما يحبه ويرضاه ، وصلى اللّه على نبينا محمد ، وعلى آله ، وصحبه ، وسلم .

■■■

تخريج أحاديث وآثار الجزء الأول من «أمالي نظام الملك»

بقلم الشيخ
مشهور بن حسن
آل سلمان

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله ، نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنّ محمداً عبدُه ورسولُه .

أما بعد :

فهذا تخريج من رأس القلم ، للأحاديث ، والآثار ، والأشعار ؛ لما نشر في العدد الماضي من «أمالي نظام المُلْك» .

وآثرتُ ـ لانفصاله عن أصله ـ أن أذكر طرف الحديث والأثر ، ليظهر نوع ترابط بين التخريج ومتن النَّص .

وإن كان هذا لا يغني عن الرجوع إلى ما نشر في العدد السابق ، بحيث يكشف عن الطريق والمخرج هناك ، فانتبه لذلك ، تولّى الله هداك .

[١]

حديث «إذا أتى أحدكم إلى المسجد ؛ فليركع ركعتين قبل أن يجلس» .

أَخرجه المصنّف من طريق مالك في «الموطأ» (١٦٢/١) ، وإسناده صحيح .

وأخرجه من طرق عن عامر بن عبد الله بن الزبير : البخاري (٤٤٤ ، ١١٩٣) ومسلم (٧١٤) وأبو داوود (٤٦٧ ، ٤٦٨) والترمذي (٣١٦) والنسائي (٥٣/٢) وابن ماجه (١٠١٣) وأحمد (٢٩٥/٥ ، ٢٩٦ ، ٣٠٣ ، ٣٠٥ ، ٣١١) وعبد الرزاق (١٦٧٣) والحميدي (٤٢١) وابن أبي شيبة (٣٣٩/١) والدارمي (٣٢٣/١ ـ ٣٢٤) وابن خزيمة

(١٨٢٥ ، ١٨٢٦ ، ١٨٢٧) وأبو عوانة (٤١٥/١) والبيهقي (٥٣/٣) والبغوي (٤٨٠) .

وأخرجه مسلم (٧١٤) من طريق ابن أبي شيبة ، وسيأتي تتمته عند المصنف في كلامه على الحديث ، وفي المطبوع «عن عمرو بن سلمة! فكأني سمعته» ، وهو خطأ والصواب ما أثبتناه .

[٢]

حديث النعمان بن بشير : «إنّ الحلال بيّن ، وإن الحرام بيّن ، وبين ذلك أُمور متشابهات» .

أخرجه البخاري (٢٠٥١) وأبو داوود (٣٣٢٩) والنسائي (٧/ ٢٤١) و (٣٢٧/٨) وأبو نعيم (٢٧٠/٤ ، ٣٣٦) من طريق عبد اللّه بن عون ، والبخاري (٥٢) ومسلم (١٥٩٩) وأبو داوود (٣٣٣٠) وابن ماجه (٣٩٨٤) وأحمد (٢٧٠/٤) والدارمي (٢٤٥٢) والبيهقي (٦٤/٥) وأبو نعيم (٣٣٦/٤) من طريق زكريا بن أبي زائدة ، والبخاري (٢٠٥١) ومسلم (١٥٩٩) وأحمد (٢٧١/٤) والبيهقي (٢٦٤/٥) من طريق عروة بن الحارث أبي فروة الهمداني ، والترمذي (١٢٠٥) وأحمد (٢٧١,٢٩٩/٤) من طريق مجالد ، ومسلم (١٥٩٩) من طريق عون بن عبد اللّه ، ومطرف وعبد الرحمن بن سعيد ، كلهم عن الشعبي به .

وفي المطبوع : «محمد بن عبد اللّه بن حفص (كذا) ، وعبد الرحمن بن حماد الشعبي»!!

[٣]

حديث صهيب : «إذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، نادى منادٍ : يا أهل الجنة! إن لكم عند اللّه موعداً ،فيقولون : وما هو؟ . . الحديث .

أخرجه مسلم (١٨١) والترمذي (٢٥٥٢) و (٣١٠٥) والنسائي في «تفسيره» (٢٥٤) وابن ماجه (١٨٧) وأحمد (٣٣٢/٤ ، ٣٣٣ ، ١٥/٦ ـ ١٦) وعنه ابنه عبد اللّه في «السنة» (٢٧١) والطيالسي (١٣١٥) وهناد في «الزهد» (١٧١) والدارمي في «الرد على

الجهمية» (٥٤ ـ ٥٥) وابن منده في «الإيمان» (٧٨٢ ، ٨٧٥,٨٧٤,٧٨٣ ، ٨٧٦) وابن جريرفي «التفسير» (١٧٦/٢٦) وأبو عوانة (١٥٦/١) وابن أبي عاصم في «السنة» (٤٧٢) وابن خزيمة في «التوحيد» (ص ١٨٠ ـ ١٨١) والآجرِّي في «التصديق بالنظر» (٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦) والطبراني (٧٣١٥,٧٣١٤) واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٨٣٣,٧٧٨) والبيهقي في «البعث والنشور» (٤٤٦) و «الاعتقاد» (ص ١٢٤) و «الأسماء والصفات » (ص٣٠٧) من طرق عن حماد بن سلمة به .

[٤]

حديث عمر : «لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا ، وصمتم حتى تكونوا كالأوتار ، ثم كان الاثنان أحب إليكم من الواحد لم تبلغوا الاستقامة» .

أخرجه المصنف من طريق محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى وهو ابن منده ، والحديث في كتابه «مسند إبراهيم بن أدهم» (رقم ٢٣) وعنه الديلمي في «الفردوس» (رقم ٥١٢٤) ومن طريق ابن منده . . أيضاً ابن عساكر ، كما في «كنز العمال» (٦٣٢١) وقال : «مالك بن دينار لم يسمع من أبي مسلم» ، قلت : والخبر باطل ، آفتُه محمد بن فارس ، قال الذهبي في «الميزان» (٣/٤) : «لا يعرف ، وقد أتى بخبر باطل ، مسلسل بالزهاد» .

وانظر «اللسان» (٣٣٨/٥) و«تنزيه الشريعة» (٣١١/٢) .

وفي المطبوع : «كالحفايا»! و «ثم كان الإنفاق أحبّ إليكم في . . .»!

و «الحنية» : القوس ، الجمع (حَنِيّ) ، و (حنايا) ، لأنها محنية ، أي : معطوفة .

ومراده من «ثم كان الاثنان» أي : الدنانير والدراهم ، والله أعلم .

[٥]

حديث عديٍّ : «قلت : يا رسولَ اللّه! ما الإسلام؟ قال : «شهادة أَنْ لا إله إلاّ اللّه ، وأنّي رسولُ اللّه ، وتؤْمن بالأَقدار ؛ خيرِها وشرِّها ، حُلْوِها ومرِّها» .

إسناده ضعيف جدّاً ، عبدالأَعلى بن أَبي المساور ، قال يحيى : «ليس بشيء» ، وقال البخاري : «منكر الحديث» ، وقال ابن

حبّان : «كان ممّن يروي عن الأثبات ما لا يشبه حديث الثقات ، حتّى إذا سمعها المبتدىءُ في هذه الصناعة ؛ علم أنّها معمولة» .

انظر «تاريخ ابن معين» (٣٣٩/٢ ، رواية الدوري) و«التاريخ الكبير» (٧٤/٢/٣) و«المجروحين» (١٥٦/٢ ـ ١٥٧) و«الضعفاء الكبير» (٦١/٣) و«الكامل» (١٩٥٣/٥) و«تاريخ بغداد» (٦٨/١١) و«تهذيب التهذيب» (٩٨/٦) .

[٦]

حديث أبي هريرة : «أتاني جبريل عليه السلام ، فعلّمني الصلاة ، فقرأ : بسم اللّه الرحمن الرحيم ، فجهر فيها» .

إسناده واهٍ بمرّة ، فيه أبو بكر المقري ، وهو النقاش المفسّر ، متّهم .

قال الخطيب : «حديثه مناكير بأسانيد مشهورة» .

وخالد بن إلياس : متروك الحديث ، كما في «التقريب» ، وهو آفة الحديث ، وأخرجه من طرق عنه الدارقطني في «السنن» (٣٠٧/١) ، وصوّب الدارقطني في «العلل» (٨/رقم ١٤٥٨) وقفه على أبي هريرة ، وهو من قوله عند ابن أبي شيبة في «المصنف» (٤١٢/١) .

وفي الأصل «المقري»! بدل «المقبري» .

[٧]

حديث ابن عمر : «إذا كان الماء قلّتين لم ينجّسه شيءٌ» .

أخرجه من طريق أبي أسامة به : أبو داوود (٦٣) وابن أبي شيبة (١٤٤/١) وعبد بن حميد (٨١٧ ـ المنتخب) وعنه ابن الجوزي في «التحقيق» (١/) ـ وابن جرير في «تهذيب الآثار» (رقم ١١٠٦ ـ مسند ابن عباس) وابن حبان (١١٨) والطحاوي في «المشكل» (٢٦٦/٣) والدارقطني (١٣/١ ـ ١٢) والحاكم (١٣٢/١ ـ ٣٣) والبيهقي (٢٦٠/-٢٦١) والجورقاني في «الأباطيل» (٣٢١) .

والحديث صحيح بمجموع طرقه ، وخرجته من طرق أُخرى في تعليقي على «الطهور» (رقم ١٦٦) وأوردت له طرقاً وشواهد ، وانظر : «نصب الراية» (١٠٤/١ ـ ١١٢) و «التمهيد» (٣٢٩/١) و «التلخيص الحبير» (٢٨/١ ـ

٣١) و «تنقيح التحقيق» (١/١٩٤ - ١٩٨) و «الإرواء» (١/٦٠) .

و «جزء تصحيح حديث القلتين» للعلائي ، وقد صوّب الخطابي في «معالم السنن» (١/٣٦) وتبعه العلائي في «جزئه» (رقم ٢٣) هذا الطريق ، وبيّنا أن أبا أُسامة حماد بن أسامة القرشي كان يقول مرة بدلاً من (محمد بن جعفر بن الزبير) : محمد بن عباد بن جعفر) ، فاضطرب فيه!

[٨]

حديث أَنس : أَنّ رسول الله ﷺ قنت شهراً يدعو عليهم ، ثمّ تركه ، وأمّا في الصبح ؛ فلم يزل يقنت حتى فارق الدنيا .

إسناده ضعيف ، والحديث مداره على أبي جعفر الرازي ، قال ابن المديني : كان يخلط ، وقال أبو زرعة : كان يهمُ كثيراً ، وقال ابن حبان : كان ينفرد بالمناكير عن المشاهير ، انظر «ميزان الاعتدال» (٣/٣٢٠) و«تاريخ بغداد» (١١/١٤٦) و «التهذيب» (١٢ /٥٧) وأخرجه من طريقه : عبد الرزاق (٣/١١٠) وابن أبي شيبة (٢/٣١٢) وأحمد (٣/١٦٢) والدارقطني (٢/٣٩) والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (١/٢٤٨) والبيهقي (٢/٢٠١) .

[٩]

حديث ابن عباس : «كان رسول اللّه ﷺ يعلّمنا التشهد كما يعلمنا القرآن ، فكان يقول : . . .» الحديث .

أخرجه من طريق الليث به : مسلم (٤٠٣) وأبو داوود (٩٧٤) والترمذي (٢٩٠) والنسائي (٢/٢٤٢ - ٢٤٣) وابن ماجه (٩٠٠) وابن المنذر في «الأوسط» (٣/رقم ١٥١٨) وابن خزيمة (٧٠٥) والطبراني (١١/رقم ١٠٩٩٦,١٠٩٩٧,١١٤٠٦) والبيهقي (٢/١٤٠) .

[١٠]

أثر عيسى عليه السلام : «إن للحكمة أهلاً إن منعْتها أهلها كنت جاهلاً ؛ كالطبيب العالم يضع دواءه حيث ينفع» .

أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٧/٢٧٣) من طريق عبد اللّه بن أحمد : ثني أبي عن

سفيان بن عيينة ، قال عيسى عليه السلام ؛ وذكره ، وسقط من المطبوع : «قال عيسى عليه السلام» .

وأخرجه من طرق عن عيسى عليه السلام ، قوله :

الدارمي (١٠٦/١) والرامهرمزي في «المحدث الفاصل» (ص٥٧٦) والخطيب في «الجامع» (رقم٧٨٣) وابن عبد البر في «الجامع» (رقم ٦٩٧) ، وما بين المعقوفتين سقط من الأصل ، وأثبتناه من مصادر التخريج .

[١١]

قول الشافعي : «إذا رأيت رجلاً من أصحاب الحديث ؛ فكأني رأيت النبي صلى الله عليه وسلم .

أخرجه عن الشافعي قوله من طريق آخر : البيهقي في «المدخل» (رقم ٦٨٩) وأبو نعيم في «الحلية» (١٠٩/٩)

[١٢]

قصة الشافعي عندما دخل مصر وخاف المالكية فجلس في بيته ، وقوله شعراً عندما سأله أصحابه الخروج للناس .

أورد هذه القصة مع الأبيات : ابن أبي حاتم في : « مناقب الشافعي» (١٩٦) والبيهقي في «مناقب الشافعي» (٧٢/٢) وأبو نعيم في «الحلية» (١٥٣/٩) والسبكي في «طبقات الشافعية» (٢٩٤/١) وياقوت في «معجم الأدباء» (٣٠٧/١٧) .

والأبيات في «حماسة الظرفاء» (١٧٥/١) و«محاضرات الأدباء» (٤٦/١) و «الذخائر والأعلاق» (ص٣٦) و «المنهج الأحمد» (٦٩/١) و «الجوهر النفيس» (ص٣٦) ومنسوبة للشافعي .

وبلا نسبة في «جامع بيان العلم» (رقم٧٠١) و «شرح عين العلم» (٣٠/١) و «غذاء الألباب» (٥٧/١) و «الكنز المدفون»(ص٢٣٥) .

وقع في المطبوع تصحيف وتحريف في كثير من الأبيات ، صوّبناه من مصادر التخريج .

ففيه في البيت الثاني : «بفهيم غرر» ، وفي الثالث : «فإن خرج»! ووفي الرابع : «ثبت معيداً»! و«وإلا فمخزون» .

إصلاح حديث النفس

بقلم : سعد بن محمد آل عبد اللطيف

بسم الله الرحمن الرحيم

يهمل بعض المربين ، والمهتمين بقضايا تزكية النفوس وتربية القلوب الاعتناء بـ «إصلاح حديث النفس» واستثمارها في بناء المسلم عقيدةً وعملاً وسلوكاً .

ولعل من أهم أسباب إهمال هذا الجانب الجهل بخطورته وأثره في الأعمال الظاهرة والباطنة .

إن الأعمال بمثابة الشجرة ، التي بذرها الخواطر وأحاديث النفس وأرضها وتربتها القلب .

وقد تكون هذه الشجرة طيبة ، وقد تكون خبيثة بحسب البذور والتربة .

وعندما نحاول تشخيص مرض وعلاجه ؛ نبدأ من البدايات والأسس الأولى له .

وعندما نتساءل عن الطريق المناسبة في تزكية نفوسنا وتربية قلوبنا أو معالجة انحراف الأمة الإسلامية ، لا بد من البحث عن الجذور والأسس والأسباب التي تفضي إلى هذه الانحرافات وتلك الأمراض .

وهذه محاولة لتلمس البدايات المبكرة لتلك الأمراض والانحرافات من خلال معرفة وإدراك أثر أحاديث النفس وخطورتها سلباً أو إيجاباً .

اعلم : أن مراتب القصد خمسة : الهاجس ، ثم الخاطر ، ثم حديث النفس ، ثم الهم ثم العزم .

وفي هذا قيل :

مراتب القصد خمس هاجس ذكروا
إلا الأخير ففيه الاختلاف وقعا
فخاطر فحديث النفس فاستمعا
يليه همّ فعزم كلّها رفعت

١ ـ أهمية أحاديث النفس في أعمال القلوب :

ذكرنا أن من مراتب القصد العزم وكان قبله هم ، وقبله أيضاً حديث النفس ؛ فمن صلح حديث نفسه صلح عزمه ، والإنسان محاسب على العزم ؛ يقول النووي رحمه الله في شأن العزم : «وقد تظاهرت نصوص الشرع بالمؤاخذة لعزم القلب المستقر ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿إنّ الذيَن يُحِبُّونَ أنْ تَشيعَ الفاحِشَةَ في الذين آمنوا لَهُمْ عَذابٌ أَليمٌ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿اجْتَنِبوا كثيراً من الظّنِّ إنَّ بعضَ الظَّنِّ إثْمٌ﴾ ، والآيات في هذا كثيرة ، وقد تظاهرت نصوص الشرع وإجماع العلماء على تحريم الحسد واحتقاره ، وإرادة المكروه وغير ذلك من أعمال القلوب وعزمها ، والله أعلم»[١] .

ويقول ابن الجوزي رحمه الله : «إذا حدث نفسه بالمعصية لم يؤاخذ ؛ فإن عزم وصمم زاد على حديث النفس ، وهو من عمل القلب»[٢] .

ويصف ابن قيم الجوزية رحمه الله «الفكرة» بأنها تحديق القلب إلى جهة المطلوب التماساً له ، ويقول : «والفكرة فكرتان : فكرة تتعلق بالعلم والمعرفة ، وفكرة تتعلق بالطلب والإرادة . فالتي تتعلق بالعلم والمعرفة فكرة التمييز بين الحق والباطل ؛ والثابت والمنفي ، والتي تتعلق بالطلب والإرادة هي الفكرة التي تميز بين النافع والضار ، ثم يترتب عليها فكرة أخرى في الطريق إلى حصول ما ينفع فيسلكها ، والطريق إلى ما يضرّ فيتركها»[٣] .

(١) «صحيح مسلم بشرح النووي» (١/ ١٥١ ، ١٥٢) .
(٢) «فتح الباري» (١١/ ٣٣٥)
(٣) «مدارج السالكين» (١/ ١٤٦) .

٢ ـ أهمية أحاديث النفس في أعمال الجوارح :

إذا أدركنا أهمية حديث النفس في أعمال القلوب أدركنا أهميتها بالنسبة لأعمال الجوارح ، وأهل السنة والجماعة يرون تلازم بين أعمال القلوب وأعمال الجوارح ، وفي الصحيحين عن النعمان بن بشير : « . . . ألا أن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ؛ ألا وهي القلب»[٤] .

يقول ابن قيم الجوزية رحمه الله : «إذا عرف هذا فأصل كل فعل وحركة في العالم من الحب والإرادة فهما مبدأ لجميع الأفعال والحركات ، كما أن البغض مبدأ كل ترك وكفّ»[٥] .

ويقول شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : «وكل من استكبر عن عبادة الله لا بد أن يعبد غيره ، فإن الإنسان حساس يتحرك بالإرادة ، وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : «أصدق الأسماء حارث وهمّام»[٦] ؛ فالحارث : الكاسب الفاعل ، والهمام فعال من الهمّ أول الإرادة ، فالإنسان له إرادة دائماً ، وكل إرادة فلا بدّ لها من مراد تنتهي إليه ، فلا بدّ لكل من عبد من مراد محبوب هو منتهى حبه وإرادته ، فمن لم يكن الله معبوده ومنتهى حبه وإرادته بل استكبر عن ذلك فلا بدّ أن يكون له مراد محبوب يستعبده غير الله ، فيكون عبداً لذلك المراد المحبوب»[٧] .

وبه نعلم أن كل إنسان له إرادة وعمل ، وأن هناك ترابط وتلازم بينهما ، وأن مبدأ كل عمل يسير «الإرادة» ، وأن كل إرادة لا بدّ لها من مراد تنتهي إليه إرادته ، وأنّ كل إنسان «عبد» فمن لم

(٤) البخاري (٥٢) ، ومسلم (١١/ ٢٦ نووي) .
(٥) «إغاثة اللهفان» (٢/٤٩٦) .
(٦) الحديث ليس في الصحيحين ولكن رواه أبو داود (٤٩٥٠) .
(٧) «مجموع الفتاوى» (١٠/ ١٩٦) .

يكن عبداً لله كان عبداً لغيره من مال أو قبر أو وثن . . . إلخ .

ومن هنا ندرك منزلة الإرادة ـ والتي يأتي قبلها حديث النفس وبعدها العمل ـ في تحقيق التوحيد والعبودية لله عزّ وجلّ .

يقول ابن قيم الجوزية : «مبدأ كل علم نظري وعمل اختياري هو الخواطر والأفكار فإنها توجب التصورات ، والتصورات تدعو إلى الإرادات ، والإرادات تقتضي وقوع الفعل»[٨] .

ويوضّح منزلة إصلاح النفس في إصلاح حديث النفس وتزكيتها قائلاً : «ومن المعلوم أن إصلاح الخواطر أسهل من إصلاح الأفكار ، وإصلاح الأفكار أسهل من الإرادات وإصلاح الإرادات ، أسهل من تدارك فساد العمل ، وتداركه أسهل من قطع العوائد»[٩] .

٣ ـ أهمية حديث النفس من خلال الأحاديث النبوية :

ونورد أمثلة من الأحاديث النبوية ؛ لنعرف من خلالها أهمية حديث النفس سواء أكانت هذه الأحاديث النفسية سلبية يحذر الشارع منها أم إيجابية يحث عليها .

* قوله ﷺ : «من توضأ نحو وضوئي هذا ، ثم صلى ركعتين لا يحدث فيها نفسه ، غفر له ما تقدّم من ذنبه»[١٠] .

قال ابن حجر رحمه الله : «المراد به ما تسترسل به النفس معه ، ويمكن المرء قطعه لأن قوله يحدث يقتضي تكسباً منه ، فأما ما يهجم من الخطرات والوساوس ويتعذر دفعه فذلك معفو عنه»[١١] .

* قوله ﷺ : «من مات ولم يغزُ ، ولم يحدّث به نفسه مات على شعبة

(٨) «الفوائد» (٣٠٦) .

(٩) «الفوائد» (٣٠٩) .

(١٠) البخاري (١٥٩) ، ومسلم (٣/ ١٠٨ نووي) .

(١١) «فتح الباري» (١/ ٣١٣) .

من نفاق»[١٢] .

* عن جابر بن عبد الله قال : كنا مع النبي ﷺ في غزاة فقال : «إن بالمدينة لرجالاً ما سرتم سيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم حبسهم المرض»[١٣] .

قال النووي : «وفي هذا الحديث فضيلة النية في الخير ، وأن من نوى الغزو وغيره من الطاعات فعرض له عذر منعه حصل له ثواب نية ، وأنه كلما أكثر من التأسف على فوات ذلك وتمنّى كونه مع الغزاة ونحوهم كثر ثوابه ، والله أعلم»[١٤] .

* وقوله ﷺ : « . . . فمن همّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة ، فإن هو همّ بها فعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ، ومن همّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة ، فإن هو همّ بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة»[١٥] .

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :«يأتي الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول من خلق ربك فإذا بلغه ؛ فليستعذ بالله ، ولينته»[١٦] .

* وقوله ﷺ : «إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فكلاهما من أهل النار ، قيل : فهذا القاتل ، فما بال المقتول؟ قال : «إنه أراد قتل صاحبه»[١٧] .

* وعن أبي كبشة الأنماري أن النبي ﷺ قال : « . . . إنما الدنيا لأربعة نفر : عبد رزقه الله مالاً وعلماً ، فهو يتقي ربه فيه ، ويصل به رحمه ، ويعلم الله فيه

(١٢) رواه مسلم (١٣/ ٥٦ نووي) .

(١٣) البخاري (٣٨٣٩) ، ومسلم (١٣/ ٥٧ نووي) .

(١٤) «مسلم بشرح النووي» (٥٧/١٣) .

(١٥) البخاري (٦٤٩١) ، ومسلم (١٤٩/٢ نووي) .

(١٦) البخاري (٣٢٧٦) ، ومسلم (٢/ ١٥٤ نووي) .

(١٧) البخاري (٧٠٨٣) .

حقاً ؛ فهذا بأفضل المنازل . وعبد رزقه علماً ولم يرزقه مالاً ؛ فهو صادق النية يقول : لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته ، فأجرهما سواء ، وعبد رزقه الله مالاً ولم يرزقه علماً يخبط في ماله بغير علم ، لا يتقي ربه ، ولا يصل فيه رحمه ، ولا يعلم الله فيه حقاً ؛ فهو بأخبث المنازل ، وعبد لم يزرقه الله مالاً ولا علماً فهو يقول : لو أن لي مالاً لعملت فيه بعلم فلان ؛ فهو بنيته ، فوزرهما سواء»[18] .

وهنا يأتي سؤال هل يعاقب العبد على الإرادة بلا عمل؟

هناك من قال : لا يعاقب ، وله أدلته ، وهناك من قال : يعاقب ، وله أدلّته أيضاً .

والقول الصحيح : التفصيل في المسألة ؛ كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : «والفصل في ذلك أن يقال فرق بين الهم والإرادة ، فالهم قد لا يقترن به شيء من الأعمال الظاهرة فهذا لا عقوبة فيه . . . والإرادة الجازمة فلا بدّ أن يقترن بها مع القدرة ، فعل المقدور ولو بنظرة أو حركة رأس ، أو لفظة ، أو خطوة أو تحريك بدن . . . ففي هذه الحالة يستحقّ العقاب»[19] .

٤ ـ العلاج والتوجيه الصحيح للأحاديث النفسية :

قد يقول قائل : قد عرفنا أهمية الخواطر وأحاديث النفس ، وأثرها على أعمال الظاهر والباطن ، وعرفنا أهميتها من خلال الأحاديث النبوية ولكن ما هو التعامل والتوجيه المناسب للأحاديث النفسية واستثمارها في الخير وميادينه ، وإليك بعض التوجيهات في هذا الشأن :

أ ـ العناية الدائمة والاشتغال المستمر في تحقيق العبودية القلبية لله تعالى بحيث يسلم القلب من شعب النفاق

(١٨) الترمذي (٢٤٢٧) وقال : «حديث حسن صحيح» .

(١٩) «مجموع الفتاوى» (٥٢٧/٧) .

والكفر ، ولا يصبح لهذه الشعب مكان في القلب ، ذلك أن القلب هو محل هذه الأحاديث النفسية ، فإذا امتلأ هذا بالإيمان والتقوى والصدق ، لم يصبح للحديث النفسي السيىء مكاناً فيه ، أما إذا كان القلب فارغاً من ذلك فعليه السلام كما قال الشاعر :

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى
فصادف قلباً خالياً فتمكّنا

ب ـ التقلل من الحياة المادية المعاصرة ، والتخفف منها ، فإنها تقسي القلب وتطلق العنان للأحاديث النفسية الدنيوية ، كما أن الحياة المعاصرة بماديتها وصخبها ، وتسارع الأحداث والفتن ، كل هذا وغيره لم يدع لأحدنا الفرصة الكافية للعناية بتربية القلب ، ومن ذلك إصلاح أحاديث النفس ، وصرفها عن الدنيا وملذّاتها إلى الآخرة وأحوالها وأهوالها .

جـ ـ ذكر الله والتعوّذ من الشيطان عند ورود هذه الأحاديث النفسية السيئة ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ .

فقد أرشد رسولنا ﷺ إلى ذلك فيما ذكر أن الشيطان يأتي أحدنا فيقول من خلق كذا؟ . . . حتى يقول من خلق الله؟ فيخبر نبيّنا محمد ﷺ أنه إذا وصل إلى هذا الحال فعلى من أصيب بهذا أن يستعيذ بالله ، ويذكر الله ، وينتهي عن هذه الوساوس .

ت ـ الاشتغال بالعلم النافع والعمل الصالح ، والتدبر في الكون وفي أحوال الآخرة وأهوالها .

ث ـ «وجماع إصلاح ذلك : أن تشغل فكرك في باب العلوم والتصورات بمعرفة ما يلزمك من التوحيد وحقوقه ، وفي الموت وما بعده بمعرفة ما يلزمك من التوحيد وحقوقه ، وفي الموت وما بعده إلى دخول الجنة والنار ، وفي آفات الأعمال وطرق التحرز منها ، وفي باب الإرادات والعزوم أن تشغل نفسك بإرادة ما ينفعك إرادته ، وطرح إرادة ما يضرّك

إرادته»[٢٠] .

٥ ـ ليس باستطاعة الإنسان أن يميت الخواطر والأحاديث النفسية ويستأصلها من جذورها ، لذا يجب على صاحب هذه الأحاديث النفسية ألا يغلو ويبالغ في الجزع والهلع من الأحاديث النفسية السيئة ؛ لأن لهذا الجزع أثار سلبية عكسية ، حيث تصبح هذه الخواطر أشد إلحاحاً على القلب وتعرّضاً له ، وقد يصاب صاحبها بأحوال نفسية سيئة حينما يعطي هذه الأحاديث النفسية أكبر من حجمها ، ويعظم من شأنها ؛ فيتحول إلى وسواس دائم .

انظر إلى حال نبينا محمد ﷺ حينما شكا أصحابه ما يجدوه في أنفسهم يتعاظم أحدهم أن يتكلّم به ؛ فقال ﷺ يطمئن أصحابه : «وقد وجدتموه؟» قالوا : نعم ، قال : «ذاك صريح الإيمان»[٢١] فكانت بشرى لهم وطمأنينة نزلت برداً وسلاماً على صدورهم ، ولكن ذلك بعد توفّر شرط مهم وهو كراهية هذه الأحاديث النفسية وعدم الرضا بها ، عدم الاسترسال معها وإطلاق العنان لها .

٦ ـ علوّ الهمة : إن طموحات الإنسان تكون منبثقة بحسب اهتماماته وهواجسه :

فمن كان اهتمامه وهاجسه المال ؛ كان سعيه وهمته وتفكيره وحركاته وسكناته في تحصيل هذا المال .

ومن كان هاجسه الإسلام والذبّ عنه ونصرة أهله ؛ كان عمله وسعيه وحركاته وسكناته في سبيل ذلك .

وكل إناءٍ بما فيه ينضح .

وفيما يصبح الإسلام ونصرته هو الهاجس عندنا يملأ أفق حياتنا نستيقظ وننام عليه ؛ يصبح من السهل علينا تغيير واقع الأمة والنهوض بها من كبوتها .

---

(٢٠) «الفوائد» (٣١٠) .

(٢١) مسلم (٢/ ١٥٣ نووي) ، وأبو داود (٥١١١) .

على قدر أهل العزم تأتي العزائم

وتأتي على قدر الكرام المكارم

فهل المسلمون الآن بين غازٍ ومحدّث نفسه بالغزو ، كما في الحديث السابق ، حتى يسلم من النفاق وشعبه والذلّ ودركاته؟!

٧ ـ أن يتذكر الواحد منا ويستحضر أن الله عزّ وجل على علم بما تخفي صدورنا ، وبما يجول في القلوب من أحاديث نفسية سيئة أو تافهة فيستحي أحد من ربه ، فيسارع بطرد هذه الخواطر والأحاديث ، وينشغل بالمفيد .

«وأنت تجد في الشاهد أن الملك من البشر : إذا كان بعض حاشيته وخدمه من هو متمنٍّ خيانته مشغول القلب ، والفكر بها ممتلىء منها ، وهو مع ذلك في خدمته وقضاء أشغاله ، فإذا اطلع على سره وقصده ، مقته غاية المقت ، وأبغضه ، وقابله بما يستحقه ، وكان أبغض إليه من رجل بعيد عنه جنى بعض الجنايات ، وقلبه وسره مع الملك غير منطوٍ على تمني الخيانة ومحبتها والحرص عليها ، فالأول يتركها عجزاً واشتغالاً بما هو فيه وقلبه ممتلىء بها ، والثاني يفعلها وقلبه كاره لها ليس فيه إضمار الخيانة ولا الإصرار عليها ، فهذا أحسن حالاً وأسلم عاقبة من الأول»[٢٢] .

٨ ـ إدراك منزلة الأحاديث النفسية سلباً وإيجاباً ، واجتناب الأحاديث النفسية السلبية ، وطلب الأحاديث النفسية الإيجابية والاشتغال بها : «فالأفكار والخواطر التي تجول في النفس هي بمنزلة الحَبِّ الذي يوضع في الرحى ، ولا تبقى تلك الرحى معطلة قط ، بل لا بد لها من شيء يوضع فيها ، فمن الناس من تطحن رحاه حباً يخرج دقيقاً ينفع به نفسه وغيره ، وأكثرهم يطحن رملاً وحصىً وتبناً ونحو ذلك ، فإذا جاء وقت العجن والخبز تبين له حقيقة طحينه»[٢٣] .

(٢٢) «الفوائد» (٣١٠) .

(٢٣) «الفوائد» (٣٠٨) .

فقهاء آخر زمان

قدم علينا بعض فقهاء من بلاد الأعاجم ، وكان قاضياً ببلده ، فرأيت على دابته الذهب ، ومعه أتوار الفضة ، وأشياء كثيرة من المحرمات ، فقلت : أي شيء أفاد هذا العلم؟! بلى والله ؛ قد كثرت عليه الحجج .

وأكبر الأسباب قلة علم هؤلاء بسيرة السلف وما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم!

إنهم يجهلون الجملة ، ويتشاغلون بعلم الخلاف ، ويقصدون التقدم بقشور المعرفة ، وليس يعنيهم سماع حديث ، ولا نظر في سير السلف . . . ويخالطون السلاطين ، فيحتاجون إلى التزيّي بزيهم ، وربما خطر لهم أن هذا قريب ، وإن لم يخطر لهم ؛ فالهوى غالب بلا صاد . . . وربما خطر لهم أن يقولوا : هذا يحتمل ويُغفر في جانب تشاغلنا بالعلم . . . ثم يرون العلماء يكرمونهم لنيل شيء من دنياهم ، ولا ينكرون عليهم .

ولقد رأيت من الذين ينتسبون إلى العلم من يستصحب المردان ، ويشتري المماليك ، وما كان يفعل هذا إلا من قد يئس من الآخرة .

ورأيت من قد بلغ الثمانين من العلماء وهو على هذه الحالة .

فاللهَ اللهَ يا مَن يريد حفظ دينه ، ويوقن بالآخرة!

إياكَ والتأويلات الفاسدة ، والأهواء الغالبة ؛ فإنك إن ترخَّصت بالدخول في بعضها ؛ جرَّك الأمر إلى الباقي ، ولم تقدر على الخروج لموضع إلفِ الهوى .

فاقبل نُصحي ، واقنع بالكِسْرَةِ ، وابعُد عن أربابِ الدنيا ؛ فإذا ضجَّ الهوى ؛ فدعه لهذا . . . وربما قال لك : فالأمر الفلاني قريب! فلا تفعل ؛ فإنه ـ لو كان قريباً ـ يدعو إلى غيره ، ويصعب التلافي .

فالصبرَ الصبرَ على شَظَف العيش! والبعدَ عن أربابِ الهوى! فما يتمُّ دين إلا بذلك ، ومتى وقع الترخُّصُ ؛ حمل إلى غيره ؛ كالشاطىء إلى اللجَّة . . . وإنما هو طعام دون طعام ، ولباس دون لباس ، ووجهٌ أصبحُ من وجهٍ . . . وإنما هي أيام يسيرة .

«صيد الخاطر» الإمام ابن الجوزي (ص٥٩٠) ، طبعة دار ابن خزيمة .

زخرفة المساجد وتزويقها

بقلم : علي بن عبد العزيز الشبل

حث القرآن والسنة وقام إجماع العلماء على وجوب عمارة المساجد تحقيقاً لتوحيد الله والإيمان به وحده لا شريك له لقوله تعالى : ﴿ما كانَ للمُشْرِكينَ أنْ يَعْمُروا مساجِدَ اللّه شـاهِدِينَ على أنْفُسِهِم بالكُفْرِ أولئكَ حَبِطَتْ أعْمالُهُم وفي النَّارِ هُمْ خالِدُونَ . إنَّما يَعْمُرُ مساجِدَ اللّهِ مَنْ آمَنَ باللّهِ واليَوْمِ الآخِرِ وأقامَ الصّلاةَ وآتَىَ الزَّكاةَ ولم يَخْشَ إلاّ اللّهَ فَعَسى أوْلئكَ أنْ يَكُونوا مِنَ المُهْتَدينَ﴾ .

فنفى سبحانه في هذه الآية من سورة التوبة عمارة أهل الشرك والضلال لمساجده وحصرها على الذين آمنوا به وباليوم الآخر .

وعمارة المسجد تكون بأمرين :

الأول : بناؤه مادياً ؛ ليسمى هذا البناء مسجداً .

الثاني : عمارته بإقامة شعائر الله فيه وهي الصلاة والجمع والذكر .

جاء في «الصحيحين» من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «من بنى لله مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة» .

إذا تقرر هذا ، فإنه قد ظهرت بين المسلمين بدع تتعلق بزخرفة المساجد وتزويقها وتشييدها ، والتكلف الكبير في بناءها مع

التباهي في ذلك والتشهر فيه والمفاخرة جهلاً من الكثير من الناس ، وظنّاً من بعضهم أن هذا هو المقصود من قوله تعالى في سورة الأعراف ﴿يا بَني آدَمَ خُذوا زينَتَكُم عِندَ كُلِّ مَسجِدٍ . . .﴾ .

فهذا الفهم لا يصح من الآية ، ولا يعرف عند سلفنا الصالح من الصحابة والتابعين ـ أعلم الناس بالقرآن ومعانيه ودلالاته ـ فالأمر بالزينة في الآية المراد به كما جاء ذلك عن السلف هو ستر العورات عند المساجد ، والطهارة للصلاة بالطهارة الشرعية ، لأن طائفة من المشركين كانوا يطوفون بالبيت عرايا ؛ فنهانا الله عن ذلك .

ولا يفهم من الآية الكريمة : أن الزينة هي إظهار الزخرفة والنحت والتزويق في بيوت الله ـ كما هو الحال في الكثير منها ـ بسبب ورود النهي عن ذلك صريحاً في السنة وعن كبار الصحابة أئمة الهدى رضي الله عنهم .

ففي «سنن أبي داود» وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «ما أمرت بتشييد المساجد» .

ثم قال ابن عباس : لتزخرفنّها كما زخرفت اليهود والنصارى .

التشييد : هو بناء المسجد بالجصّ ، وزخرفته ، والتطويل في ذلك .

وروى البخاري معلقاً أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما أمر ببناء المسجد قال : «أكنَّ الناس من المطر» ، وقال : «إيّاك أن تحمّر أو تصفّر ـ يعني الطلاء الملون ـ فتفتن الناس» .

قال أنس بن مالك رضي الله عنه : «يتباهون بها ـ أي المساجد ـ

ثم لا يعمرونها إلا قليلاً» .

وصار من أشراط الساعة ما رواه أحمد والنسائي عن أنس بن مالك مرفوعاً : «لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد» .

في هذا المعنى يفسر البغوي كلام ابن عباس السابق في «شرح السنة» فيقول : «إن اليهود والنصارى إنما زخرفوا المساجد عندما حرفوا وبدلوا أمر دينهم . وأنتم تصيرون إلى مثل حالهم ، وسيصير أمركم إلى المراءاة بالمساجد والمباهاة بتشييدها وتزيينها .

قال أبو الدرداء رضي الله عنه : إذا حلّيتم مصاحفكم وزوقم مساجدكم فالدمار عليكم .

ومن حال مَن قبلنا في المساجد ، والذي تابعهم فيه بعض المسلمين ما في الصحيحين من حديث عائشة : أن أم حبيبة وأم سلمة رضي الله عن الجميع ذكرتا لرسول الله ﷺ كنيسة رأتاها بأرض الحبشة ، وما فيها من التصاوير ؛ فقال ﷺ : «أولئك إذا مات فيهم العبد الصالح أو الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً ، وصوَّروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله» .

قال ابن تيمية : فهؤلاء جمعوا بين فتنتين فتنة القبور ، وفتنة التماثيل .

والزخارف ونحوها في المساجد من أهم الشواغل والصوارف للمصلي عن الخشوع في صلاته هذا معروف واقعاً .

وقد صلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى خميصة ذات أعلام فلما قضى صلاته قال : «اذهبوا بهذه الخميصة إلى أبي جهم ؛ فإنها ألهتني آنفاً عن صلاتي» .

رواه مسلم عن عائشة .

فهذه ملاية ذات أشكال وأعلام فما بالك بالمساجد المليئة بالزخرفة والتفنن فيها ، حتى إن بعضها أشبه بالمتاحف منها بالمساجد؟

وروى سعيد بن منصور في «سننه» عن إسماعيل بن عبد الرحمن بن ذؤيب قال : دخلت مع ابن عمر مسجداً بالجحفة ، فنظر إلى شرفات المسجد ، فخرج إلى موضع فصلى فيه . ثم قال لصاحب المسجد : إني رأيت في مسجدك هذا ـ يعني الشرفات ـ شبهتها بأنصاب الجاهلية ، فمُرْ أن تكسر .

وروى أهل السير أن الوليد بن عبد الملك بن مروان لما وسع مسجد الرسول ﷺ بالمدينة وأطال بعمارته وزخرفه بالفسيفساء وأدخل حجرات الرسول وقبره فيه ، طاف بالمسجد ومعه أبان بن عثمان بن عفان ـ أحد فقهاء المدينة ـ فقال له : أيُّ هذا البناء أو بناؤكم ـ يلمزه بتوسعة عثمان للمسجد ـ؟ فقال له أبان منكراً صنيعه بموقف علماء السلف ؛ قال : بنيناه بناء المساجد ، وبنيتموه بناء الكنائس .

من خلال هذا الذي سقته يتضح للجميع : أن زخرفة المساجد وتزويقها والتكلف في بناءها مما حذرته الشريعة ، ومما يذهب عن المسجد هيبته وطبيعته .

وفّق الله الجميع للعمل بالسنة ، ومجانبة البدع والمحدثات .

●●●

أحكام فقهية تهمّ الحجّاج والمعتمرين

بقلم : الشيخ علي رضا بن عبد الله

١ ـ حكم المرور بين يدي المصلي في المسجد الحرام :

صحّ عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : «لو يعلم المار بين يدي المصلي ماذا عليه لكان أن يقف أربعين خيرٍ له من أن يمر بين يديه» رواه البخاري ومسلم .

وقد روي عنه صلى الله عليه وآله وسلم حديث يخصص هذا الحكم ـ لو صح ـ من حديث المطلب بن وداعة أنه : « رأى النبي ﷺ يصلي بما يلي بني سهم والناس يمرّون بين يديه وليس بينهما سترة» .

وقد استدلّ بهذا الحديث بعض العلماء على جواز المرور بين يدي المصلي في المسجد الحرام ومنهم السيد سابق في «فقه السنة» (١/ ٥٨١) وقال : هذا من خصائص المسجد الحرام .

قلت :الحديث ضعيف ؛ لأن في إسناده جهالة فلا يصلح لبناء حكم عليه بالاتفاق .

٢ ـ حكم دخول مكة بغير إحرام :

قال في «فقه السنة» (٦٥٨/١) : «يجوز دخول مكة بغير إحرام لمن لم يرد حجاً ولاعمرة سواء أكان دخوله لحاجة تتكرر كالحطاب والحشاش والسقا والصياد وغيرهم ، أم لم

تتكرر كالتاجر والزائر وغيرهما ، وسواء أكان آمناً أو خائفاً» .

ثم نقل عن ابن حزم الحافظ قوله : «دخول مكة بلا إحرام جائز ؛ لأن النبي ﷺ إنما جعل المواقيت لمن مرّ بهنّ يريد حجاً أو عمرة ، ولم يجعلها لمن لا يريد حجاً ولا عمرة . . . فلم يأمر الله تعالى قط ولا رسول الله عليه الصلاة والسلام بأن لا يدخل مكة إلا بإحرام فهذا ما لم يأت في الشرع إلزامه» .

٣ ـ حكم إحياء ليلة العيد :

لا يشرع إحياء ليلة العيد للحاج لعدم ثبوته عن النبي ﷺ . . . وأما غير الحاج فلا يشرع له تخصيص ليلة العيد ـ عيد الأضحى أو عيد الفطر على السواء ـ بالقيام ذلك لأن الحديث الذي روي في فضل إحياء تلك الليلتين لا يثبت عن رسول الله ﷺ وهو : «من قام ليلتي العيد محتسباً لم يمت قلبه يوم تموت القلوب» .

فهذا الحديث من مرويات ابن ماجه في «سننه» وقال المنذري في «الترغيب والترهيب» (١٥٢/٢) عن إسناده : «رواته ثقات إلا أن بقية مدلس وقد عنعنه» .

ثم ذكر حديثين آخرين لا يصلحان للاستشهاد بهما لشدة ضعفهما فيبقى الحديث ضعيفاً لا تقوم به حجة .

٤ ـ حكم الاستشفاع برسول الله ﷺ

من الأخبار المكذوبة قصة الأعرابي الذي ينقلهما العتبي بقوله : «كنت جالساً عند قبر النبي ﷺ فجاء أعرابي فقال : السلام عليك يا رسول الله ، سمعت الله تعالى يقول : **﴿ولو أنَّهُم إذْ ظلَمُوا أنْفُسَهم جاءُوك فاسْتَغْفَروا اللّهَ واسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسول لَوَجدوا اللّهَ توّاباً رحيماً﴾** .

وقد جئتك مستغفراً من ذنبي مستشفعاً بك إلى ربي ثم أنشأ يقول :

يا خير من دفنت في القاع أعظمه
فطاب من طيبهنّ القاع والأكمُ
نفسي الفداء لقبرٍ أنت ساكنه
فيه العفاف وفيه الجود والكرمُ

قال : ثم انصرف فغلبتني عيناي فرأيت النبي ﷺ في النوم فقال : «الحق بالأعرابي وبشره أن الله قد غفر له» .

وهذه القصة المكذوبة تكلّم عليها العلماء قديماً وحديثاً ، وبيّنوا ضعفها الشديد ونكارة متنها العظيمة ، ومخالفتها للعقيدة الإسلامية الصحيحة المستقاة من نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة وعمل السلف الصالح .

فاحذر أيها الحاج من طلب الشفاعة من رسول الله ﷺ أو من الملائكة أو الصالحين أو غيرهم فإن الله تعالى قال : ﴿**قُلْ للّهِ الشَّفاعَةُ جميعاً**﴾ .

وقال : ﴿**مَنْ ذا الّذي يَشْفَعُ عندَهُ إلاّ بإذْنِه**﴾ ، والرسول ﷺ لا يشفع يوم القيامة إلا بعد إذن الله تعالى له بالشفاعة كما لا يشفع إلا فيمن حدّ له ربّ العزة والجلال من أهل التوحيد ؛ فعليك باتباع السنة ، واحذر أكاذيب المضللين ؛ فقد قال تعالى :

﴿ **إنّ اللّهَ لا يَغْفِرُ أنْ يُشْرَكَ بِهِ ويغْفِرُ ما دُونَ ذلك لِمَنْ يَشاءُ**﴾

جعلنا الله هداة مهتدين .

بيان كذب ما ينسب إلى الإمام أحمد

سعد بن شايع العنزي

ما ينسبه الغزالي إلى الإمام أحمدمن التأويل

قال شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية : «وأما ما حكاه أبو حامد الغزالي عن بعض الحنابلة : أن أحمد لم يتأول إلا ثلاثة أشياء : «الحجر الأسود يمين الله في الأرض» و«قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن» و«إني أجد نفس الرحمن من قبل اليمن» .

فهذه الحكاية كذب على أحمد ، لم ينقلها أحد بإسناد ، ولا يُعرف أحد من أصحابه نقل ذلك عنه ، وهذا الحنبلي الذي ذكر عنه أبو حامد الغزالي مجهول لا يعرف له علم بما قال ، ولا صدقه فيما قال»[1] .

قلت : قد علمت كذب هذه الحكاية التي بها وبأمثالها يشنع الأشاعرة وأضرابهم ؛ كابن السبكي في «طبقاته» على الحنابلة[2] ويقولون : إن أحمد برئ منهم : ظانين أن أحمد من المتأولين لأخبار الصفات

وعليه : فإليك بيان هذه الأحاديث ، ومنهج أحمد والسلف في تلقيها :

- أما الحديث الأول : «الحجر الأسود يمين الله في الأرض» فلا يصح ، أخرجه ابن عدي (٢/ ١٧) والخطيب في «تاريخه» (٦/ ٣٢٨) وغيرهما ، قال ابن تيمية : «روي بإسناد لا يثبت»[3] .

وقال ابن الجوزي : «لا يصح» ، وقال ابن العربي : «هذا حديث باطل ، فلا

(١) الفتاوى (٥/ ٣٩٨) .

(٢) إذا أطلق الحنابلة في مقابلة الأشاعرة ، فالمراد السلفيون ؛ فإنهم كانوا حاملي لواء السنة .

(٣) الفتاوى (٦/ ٣٩٧) .

يلتفت إليه» .

وذكر طرقه العلامة الألباني في «الضعيفة» (١/ ٢٥٧)[٤] وقال : «فالحديث باطل على كل حال» ، وبعضهم يرويه موقوفاً على ابن عباس ، ولا يصح أيضاً .

- الحديث الثاني :«إني أجد نفس الرحمن من قبل اليمن»

هذه اللفظة تفرد بها شبيب أبو رباح عن أبي هريرة عند أحمد (٢/ ٥٤١) في حديث : « ألا إن الإيمانَ يمانٍ ، والحكمة يمانية ، وأجد نفس ربكم من قبل اليمن» الحديث .

والناس من أصحاب أبي هريرة يروونه دونها في «الصحيحين» و«المسند» وغيرها ، وشبيب ؛ قال عنه أبو الحسن ابن القطان : «شبيب لا تعرف له عدالة» ، ووثقه ابن حبان على عادته ، وتبعه العراقي في «تخريج الإحياء» (١/ ٩٢) والهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٥٦) والحافظ في «التقريب» .

وسكت عنه ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٢/ ١/ ٣٥٨) .

وعليه ؛ قال الألباني عن هذه الزيادة : «هي عندي منكرة ، أو على الأقل شاذة»[٥] .

قلت : والنكارة بها أولى ؛ لأن راويها لا تعرف له عدالة ، وجاء بما يخالف الثقات ، وهذه حال الضعفاء .

- الحديث الثالث : «قلوب العباد بين أُصبعين من أصابع الرحمن»

حديث صحيح ، رواه غير واحد من الصحابة ؛ منهم :

١- عبد الله بن عمرو بن العاص عند مسلم (٨/ ٥١) ، وأحمد (٢/ ١٦٨) وغيرهما .

٢- أنس بن مالك عند الترمذي ، وابن ماجه ، وعبد الله ابن أحمد في «السنة» .

٣- جابر بن عبد الله عند أبي يعلى الموصلي في «مسنده» .

- وبعد ؛ فإليك البيان :

قال شيخ الإسلام : «أما الحديث

(٤) طبع المكتب الإسلامي .

(٥) السلسة الضعيفة (٣/ ٢١٧) .

الأول ؛ فقد روي عن النبي ﷺ بإسناد لا يثبت ، والمشهور[٦] إنما هو عن ابن عباس ، قال : «الحجر الأسود يمين الله في الأرض ، فمن صافحه وقبَّله فكأنما صَافَح الله وقبَّل يمينه» ، ومن تدبر اللفظ المنقول تبين له أنه لا إشكال فيه ، إلا على من لا يتدبر ؛ فإنه قال «يمين الله في الأرض» فَقَيَّدَه بقوله : «في الأرض» ، ولم يطلق ، فيقول : يمين الله ، وحكم اللفظ المقيد يخالف حكم اللفظ المطلق .

ثم قال : «فمن صافحه وقبَّله فكأنَّما صافح الله وقبَّل يمينه» ، والمعلوم أنَّ المشبَّه غير المشبه به ، وهذا صريح في أن المصافح لم يصافح يمين الله أصلاً ، ولكن شبه بمن يصافح الله ، فأول الحديث وآخره يبين أن الحجر ليس من صفات الله ، كما هو معلوم عند كل عاقل»[٧] .

(٦) وهذا لا يعني أنه يصححه ؛ فإنه لم يثبت .

(٧) مجموع الفتاوى (٦/ ٣٩٧) ، والأصل : أن يطوى البحث في هذا الخبر ، ولا يشرح ؛ لعدم ثبوته ، لكن ابن تيمية أراد أن يبين للذين يشنعون على السلفيين رواية أمثال هذه الأخبار ، وزعمهم أنهم حشوية لا يعرفون ما يروون عمق فهم السلف ، وأن عقولهم أنظف من عقول المبتلين بالكلام ، وأن السلف لا يروون ما يتضمن التشبيه .

قال شيخ الإسلام أيضاً :

«وأما الحديث الثاني ؛ فقوله : «من اليمن» يبين مقصود الحديث ؛ فإنه ليس لليمن اختصاص بصفات الله تعالى حتى يظن ذلك ، ولكن منها جاء الذين يحبهم ويحبونه ؛ الذين قال فيهم : ﴿**من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه**﴾ وقد روي أنه لما نزلت هذه الآية سأل عن هؤلاء فذكر قوم أبي موسى الأشعري ، وجاءت الأحاديث الصحيحة ، مثل قوله : «أتاكم أهل اليمن أرق قلوباً ، وألين أفئدة ، الإيمان يماني ، والحكمة يمانية» ، وهؤلاء هم الذين قاتلوا أهل الردة ، وفتحوا الأمصار ؛ فيهم نفّس الرحمن عن المؤمنين الكربات ، ومن خصص ذلك بأويس ؛ فقد أبعد»[٨] .

(٨) مجموع الفتاوى (٦/ ٣٩٨) .

- قال العلامة محمد بن صالح العثيمين :[9] «وهذا الحديث على ظاهره ، والنفس فيه اسم مصدر ينفس تنفيساً مثل فرّج يفرج تفريجاً وفَرَجاً ، هكذا قال أهل اللغة ، كما في «النهاية» و«القاموس» و«مقاييس اللغة»[10] قال في «مَقَايِيس اللُّغة» : «النفس كل شيء يفرج به عن مكروب» فيكون معنى الحديث : أَنْ تنفيس الله تعالى عن المؤمنين يكون من أهل اليمن .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : وهؤلاء هم الذين قاتلوا أهل الردة ، وفتحوا الأمصار ؛ فيهم نفّسَ الرحمن عن المؤمنين» .

وإتماماً للفائدة ، وبياناً لمنهج الإمام أحمد وشيوخه السلفيين ؛ في تقرير العقيدة ، أسوق فصلاً في بيان منهاج السلف في تقرير العقيدة :

قال عبد الله بن أحمد في كتاب «السنة» (٥٠٠) : حدثني أبي رحمه الله : نا معاذ بن معاذ : ثنا حماد بن سلمة : نا ثابت البناني ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قوله عزّ وجلّ : ﴿**فلما تَجَلَّى رَبُّه للجبل جعله دكّاً**﴾[11] . قال : هكذا يعني : أخرج طرف الخِنصر ، قال أبي : أراناه معاذ ، فقال له[12] حميد الطويل : ما تريد إلى هذا يا أبا محمد؟ قال : فضرب صدره ضربة شديدة ، وقال : من أنت يا حميد؟ وما أنت يا حميد؟ حدثني به أنس بن مالك عن النبي ﷺ تقول أنت ما تريد إليه[13]؟!

حدثني أبي قال : حدثني من سمع معاذاً يقول : وددت أنه حبسه شهرين

---

(٩) في «القواعد المثلى» (ص٥١) طبعة الجامعة الإسلامية عام ١٤٠٨هـ .

(١٠) وهكذا في «الفائق في غريب الحديث» للزمخشري (٤/ ١٠) .

(١١) الأعراف : ١٤٣ .

(١٢) الضمير يعود إلى ثابت ، كما هو مصرَّحٌ في رواية ابن أبي عاصم

(١٣) سنده صحيح على شرط مسلم ، والحديث أخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ١٢٥) والترمذي (٣٠٧٤) والحاكم (٢/ ٣٢٠) وابن أبي عاصم في «السنة» (٤٨١) وصححه الترمذي ، والحاكم ، والألباني - وقالا : على شرط مسلم - وابن كثير في «تفسيره» .

يعني : لحميد[١٤] .

وروى أيضاً (٥٠١) عن سعيد[١٥] عن قتادة عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ : ﴿فلما تجلى ربه للجبل﴾ قال : هكذا ، وأشار بطرف الخنصر ؛ يحكيه[١٦] .

وروى أيضاً عن عطاء[١٧] عن أبي الضحى عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : مرَّ يهودي برسول الله ﷺ وهو جالس ، قال : كيف تقول يا أبا القاسم يوم يجعل الله السماء على ذه -وأشار بالسبابة- والأَرْضين على ذه ، والماء على ذه ، والجبال على ذه ، وسائر الخلق على ذه ، وجعل يشير بأصابعه؟ فأنزل الله عزّ وجل : ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حق قدره﴾[١٨] الآية[١٩] .

وروي أيضاً : (٤٨٩) عن عبدالله[٢٠] عن النبي ﷺ : «إن الله يمسك السموات على أصبع»[٢١] قال أبي : جعل يحيى[٢٢] ، يشير بأصابعه ، وأراني أبي كيف جعل يشير بأصبعيه ، يضع أصبعاً أصبعاً ، حتى أتى على آخرها .

وقال أيضاً : (٤٩٥) نا أحمد بن إبراهيم : سمعت وكيعاً يقول : نُسلّم هذه الأحاديث ما جاء ، ولا نقول : كيف هذا؟ ولا لم كذا؟ يعني : مثل

---

(١٤) ظاهر الانقطاع .

(١٥) هو ابن أبي عروبة .

(١٦) صحيح ، وأخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٢١١) من طريق أُخرى عن سعيد ، صححها الألباني في «ظلال الجنة» (١/ ٢١١) وفيه متابعة لحديث حماد عن ثابت المتقدم ، وله شاهد عند ابن أبي عاصم (٤٨٤) عن عكرمة عن ابن عباس ، وسندها ضعيف .

(١٧) هو ابن السائب .

(١٨) أخرجه أحمد (١/ ٢٥١) والترمذي (٥/ ٣٧١) وابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٢٤٠) وابن خزيمة في «التوحيد» (١٠٦) وشرطه فيه الصحة ، وفيه عطاء بن السائب ، وقد اختلط ، والراوي عنه متأخر .

وضعفه العلامة الألباني في «ضعيف الترمذي» .

(١٩) الزمر .

(٢٠) هو ابن مسعود .

(٢١) أخرجه البخاري (٨/ ٥٥٠) ومسلم (٤/ ٢١٤٧) وغيرهما بنحو حديث ابن عباس المتقدم ، وليس فيه الإشارة إلى الأصابع .

(٢٢) هو ابن سعيد القطان راوي الحديث .

حديث ابن مسعود : «إن الله عزّ وجلّ يحمل السموات على أصبع ، والجبال على أصبع» ، وحديث أن النبي ﷺ قال «قلب ابن آدم بين إِصْبُعَين من أصابع الرحمن» ونحوها من الأحاديث .

وروى أيضاً (٤٩٦) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : «إذا ضرب أحدكم ؛ فليتجنّب الوجه ، فإن الله خلق آدم على صورته»[٢٣] .

حدثني أبي : سمعت الحميدي -وحدثني سفيان بن عيينة بهذا الحديث- ويقول : هذا حق ، ويتكلم ، وابن عيينة ساكت ما ينكر عليه .

وروى أيضاً الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن عطاء عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «لا تُقَبِّحُوا الوجه ، فإن الله خلق الوجه على صورة الرحمن» .

أخرجه أحمد ابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٢٢٩) وابن خزيمة في «التوحيد» ، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (٤٩٨) من هذا الطريق ، ورجاله «ثقات» ، وقد أُعلَّ بعنعنة الأعمش وحبيب ، فهما مدلسان ، والله يغفر لهما ، والحديث يفهمه السلف على ظاهره ، وصححه أحمد ، وابن راهويه ، وكثير من السلف ، إلا أنّ ابن خزيمة ضعفه[٢٤] وتأول حديث أبي هريرة ، وتبعه بعض المتأخرين ، وتأويله ليس من عمل السلف ، ومن أخطأ من السلفيين في تأويله ؛ فله عذر عند ربه ، لأن أُصوله سلفية سليمة ، ولكن لم يصحَّ عنده الحديث ، ومن أصولنا السلفية أن لا نعمل ، أو نعتقد إلا ما صح ثبوته .

فلذلك لا نلحق من تأول شيئاً من النصوص وله عذر بأهل الضلال من

---

(٢٣) أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ٢٤٤) والبخاري (٦٢٧٧) ومسلم (٤/ ٢٠١٦ ط عبد الباقي) .

(٢٤) وقد فصل القول في تضعيفه شيخنا الألباني حفظه الله ورد على من صححه في «الضعيفة» (١١٧٦) (الأصالة) .

جهمية وغيرهم ، بل نعذرهم ونقول : الأمر عندهم مشتبه ، ولهم من رحمة الله سعة ، قال أبو العباس ابن تيمية في «التسعينية» : «لا ريب أن من لقي الله بالإيمان بجميع ما جاء به الرسول مُجْملاً ، مقرّاً بما بلغه من تفصيل الجملة ، غير جاحد لشيء من تفاصيلها ، أنه يكون بذلك من المؤمنين ، إذ الإيمان بكل فرد من تفصيل ما أخبر به الرسول ، وأمر به غير مقدور للعباد إذ لا يوجد أحد إلا وقد خفي عليه بعض ما قاله الرسول ﷺ .

ولهذا يسع الإنسان في مقالات كثيرة لا يقر فيها بأحد النقيضين ، لا ينفيها ، ولا يثبتها ، وإذا لم يبلغه أن الرسول نفاها أو أثبتها ، ويسع الإنسان السكوت عن النقيضين في أقوال كثيرة ؛ إذا لم يقم دليل شرعي بوجوب قول أحدهما .

أما إذا كان أحد القولين هو الذي قاله الرسول دون الآخر ؛ فهنا يكون السكوت عن ذلك وكتمانه من باب كتمان ما أنزل الله من البيان والهدى من بعد ما بينه للناس في الكتاب ، ومن باب كتمان شهادة العبد من الله ، وفي كتمان العلم النبوي من الذم واللعنة لاتمة ما يضيق عنه هذا الموضع .

وكذلك إذا كان أحد القولين متضمناً لنقيض ما أخبر به الرسول ﷺ والآخر لا يتضمن مناقضة الرسول ؛ لم يجز السكوت عنها جميعاً ، بل يجب نفي القول المتضمن لمناقضة الرسول ﷺ ولهذا أنكر الأئمة على الواقفة في مواضع كثيرة حين تنازع الناس» .

وروى عبد الله بن أحمد في «السنة» (٥٠٨) من طريق عباد بن العوام ، قال : قدم علينا شريك ، فسألناه عن الحديث : «إن الله ينزل ليلة النِّصْفِ من شعبان»[٢٥] .

(٢٥) هذا الحديث أخرجه أحمد في «المسند» (٦/ ٢٣٨) والترمذي (٧٣٩) وابن ماجه (١٣٨٩) قال الترمذي : سمعت محمداً (يعني : البخاري) يضعف هذا الحديث أ .هـ .

قلت : لا تلازم بين تضعيف البخاري له وبين قول المعتزلة ، فالمعتزلة يردون تبعاً لأصولهم =

قلنا :إنَّ قـــومـــاً ينكرون هذه الأحاديث!!

قال : فما يقولون؟

قلنا : يطعنون فيها .

فـقـال : إن الذين جـاءوا بالقـرآن ، وبأنَّ الصلوات خَمْسٌ ، وبحج البـيت ، وبصوم رمضان ، فما نعرف الله إلا بهذه الأحاديث . .

قلت : سندها صحيح .

وفي رواية : فـقلت : يا أبا عـبـد الله إن عندنا قوماً من المعتزلة ينكرون هذه الأحاديث .

قال : فحدّثني بنحو أحاديث في هذا .

وقـال : أمـا نحن أخـذنا ديـنـنـا عن الـتـابعـين عن أصـحـاب رسـول الله ﷺ ، فهم ؛ عمن أخذوا؟

قال عبدالله بن أحمد في «السنة» (٥٣٣) : سألت أبي رحمه الله عن قوم يقولون : لما كَلَّمَ الله عزّ وجلّ موسى ، لم يتكلم بصـوت ، فـقـال أبوك : بلى ، إن ربي عـــزّ وجلّ تكلم بصـــوت . ، هذه الأحاديث نرويها كما جاءت .

وقال عبدالله أيضاً (٥٨٧) : حدثني أبي : نا وكيع بحديث إسرائيل عن أبي إسحاق عن عبدالله بن خليفة عن عمر رضي الله عنه قال : إذا جلس الرب عزّ وجلّ على الكرسي فـاقـشـعـر رجل - سماه أبي- عند وكيع ، فغضب وكيع ، وقال : أَدْرَكْنَا الأعمشَ وسفيانَ يحدثون بهذه الأحاديث لا ينكرونها[٢٦] .

وروى ابن أبي عـاصم في «السنة» (٤٨٥) بسند صـحـيح عن طاوس عن ابن عباس ، قال : حدث رجل بحديث

= الفاسدة ، والبخاري والمحدثون يضعفونه لعلل في سنده ، وأورد البـخـاري حـديثـاً في مـعناه في «صـحـيحـه» ، وهو حـديث النزول آخر الليل ، وهو سلفي صرف .

وقـد فـصل القـول في تصـحـيح حـديث ليلة النصف من شـعـبـان شـيـخنا الألبـاني في «الصحيحة» (١١٤٤) (الأصالة) .

(٢٦) هذا الخبر عن عمر ضعيف ، فإسرائيل سمع من أبي إسحاق بعد اختلاطه ، وأبو إسحاق مدلس ، وقد عنعن .

وهو مخالف لما صح أن الكرسي موضع قدمي الرب . لكن الشاهد هو إنكار السلف على من ينكر ما ثبت للرب من صفات ولعل وكيعاً يصحح هذا!!

أبي هريرة[٢٧] فانتفض ، قال ابن عباس : ما بال هؤلاء يجدون[٢٨] عند مُحْكَمِه ، وَيَهْلِكُون عِنْدَ متشابهه» .

وبهذا أختم كلامي ، وأسأل الله تعالى أن يسلك بنا سبيل المؤمنين ، الذين أنعم الله عليهم ، ويلزمنا كلمة التقوى ، إنه وليُّ ذلك ، والقادر عليه .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

* * *

(٢٧) قال الشيخ الألباني في «ظلال الجنة» (١/ ٢١٢) : «لم أقف على من نبّه على المراد بهذا الحديث ، ويغلب الظن على أنه حديث : «إن الله خلق آدم على صورته» ، وهو حديث صحيح مخرج في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٨٦٠)» أ.هـ .

(٢٨) قال الشيخ ناصر الألباني في «ظلال الجنة» (٢١٢/١) : «كذا في المخطوطة ، ولعله : يحيدون ؛ أي : يجتهدون ، ويهتمون لفهم المعنى المراد من القرآن عند محكمه ، ويهلكون عند متشابهه ؛ لأنهم لا يهتمون لفهم معناه الحقيقي مع التنزيه ، ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ يصرفهم عن ذلك التأويل أو التفويض» .

مثّل وقوفك يوم الحشر عريانا
مستعطفاً قلق الأحشاء حيرانا
النّار تزفر من غيظ ومن حنقٍ
على العصاة وتلقى الرّبَّ غضبانا
يا ربِّ لا تخزنّا يوم الحساب ولا
تجعل لنارك فينا اليوم سلطانا

الفتاوى

للعلامة المحدث / محمد ناصر الدين الألباني

● **سؤال ١:**

هناك بعض المساجد تصلي النساء فيها تحت المسجد (البدروم) أو في دور علوي للمسجد. ونحن نساء نصلي في هذه المساجد أحياناً مقتديات بالإمام من حيث لا نرى الإمام ولا المأمومين، وأحياناً يكون المسجد مصلّى الرجال؛ فيه مكان كبير شاغر؛ هل صلاتنا صحيحة؟ إذا كنّا لا نرى الإمام أو أحداً من المأمومين؟ علماً بأنه أحياناً ندخل المسجد ونحن لا نعلم في أي ركعة هو، وهل يجوز في هذه الحال الاقتداء بمكبر الصوت فقط؟ وهل يصح أن نقتدي بالإمام ونحن في الدور العلوي أو السفلي، علماً بأن المسجد في بعض الأحيان يكون فيه سعة؟

□□□

○ **جواب ١:**

الجواب على قسمين :

القسم الأول :

أن الصلاة والحالة هذه صحيحة مادامت النساء تُصلي في المسجد ؛ سواء كان في القسم الأعلى أو الأدنى ، ما دُمن يسمعن تكبيرات الانتقال من الإمام ؛ من القيام ، إلى الركوع ، إلى السجود .

القسم الثاني :

فلا ينبغي للنساء أن يُصلين هذه الصلاة إلا إذا كان مكان الرجال قد غصّ بالمصلين ولا يجدن في مؤخرة الصفوف مكاناً لهنّ ، في هذه الحالة ؛ يجوز لهن أن يصلين في القسم الأعلى من المسجد ، أو الأدنى منه ، أما إذا كان في المسجد الذي يصلي فيه الإمام وخلفه الرجال مكان شاغر ، فلا يجوز للنساء أن يصعدن إلى القسم الأعلى ، أو أن ينزلن إلى القسم الأدنى

بحيث لا يرين حركات الإمام ، أو حركات المقتدين به ، والسبب في هذا يعود إلى أمرين اثنين :

الأمر الأول :

أن النبي صلى الله عليه وسلم حين قال : « خير صفوف الرجال أولها ، وشرُّها آخرها ، وخير صفوف النساء آخرها ، وشرُّها أولها» ؛ إنما عني ذلك : الأرض التي كان يصلي فيها النبي وأصحابه من خلفه ، وليس النساء في قسم أعلى أو أدنى ، والسر في هذا : أن مكبِّر الصوت قد يخفى أحياناً ، وقد يتعطل تارة ؛ فتتعرض صلاة المقتديات في القسم الأعلى أو الأدنى الذي لا يرين منه صلاة المصلين من الرجال خلف الإمام للبطلان .

فخلاصة هذا الجواب : أن الصلاة في القسم الأعلى أو الأدنى صحيحة ، ولكن لا يجوز أن يتقصدن الصلاة في ذلك المكان إذا كان في مصلى الرجال فُسحة بحيث يُمكن للنساء أن يُصلين في مؤخرتها .

● **سؤال ٢:**

إذا اختلفت المرأة مع زوجها في رأي فقهي؛ مثل السفر بدون محرم فهل له أن يُجبرها على رأي فقهي عموماً؟

□□□

○ **جواب ٢:**

﴿الرجال قوامون على النساء بما فضّل الله بعضهم على بعض﴾ ، ففي مثل هذه المسألة لا بُدَّ أن ينفذ رأي أحد الزوجين إما الزوج ، وإما الزوجة ، ولا شك ولا ريب أن الرجل ؛ مادام أن الله عزّ وجلّ فرض على المرأة أن تطيعه ؛ فلا عبرة برأيها ـ والحالة هذه ـ وعليها أن تطيعه ، ولكن قبل ذلك عليهما أن يتطاوعا ، وأن يتفاهما ، فإذا وصل الأمر إلى النقطة التي جاء السؤال عنها ؛ فالجواب أنها يجب أن تطيعه وألا تخالفه .

□□□

● **سؤال ٣:**

ما أمثل طريقة للدعوة بالنسبة للنساء؟

○ **جواب ٣:**

أنا أقول للنساء : قرن في بيوتكن ، وليس لكُنَّ شأن بالدعوة ، أنا أُنكر استعمال كلمة الدعوة بين الشباب بأن هؤلاء من أهل الدعوة ، كأن الدّعوة صارت «موضة» العصر الحاضر ، فكل

إنسان يعرف شيئاً من العلم أصبح داعية! ولم يقف الأمر عند الشباب حتى انتقل الأمر إلى الشابات، وإلى ربّات البيوت، وأصبحن ينصرفن في كثير من الأحيان عن القيام بواجب بيوتهن، وبعولتهن، وأولادهن منصرفات عن هذه الواجبات، بما ليس واجباً عليهن، ألا وهو أن تقوم بالدعوة.

الأصل في المرأة أن تقرَّ في بيتها، ولا يُشرع لها أن تخرج إلا لحاجة مُلحّة، لقول النبي صلى اللّه عليه وسلم: «وبيوتهن خير لهن من الصلاة في المساجد.

ونحن نرى الآن ظاهرة منتشرة بين النساء: يُكثرن الخروج إلى المساجد لصلاة الجماعة، فضلاً عن صلاة الجمُعة، وبيوتهن خير لهن، إلا إذا كان هناك مسجد فيه إمام عالم، يُعلم الحاضرين شيئاً من علوم الدين؛ فتخرج المرأة للصلاة إلى المسجد، للاستماع إلى العلم، فلا مانع من ذلك، أما أن تنشغل المرأة بالدعوة (!) فلتقعد في بيتها، ولتقرأ من الكتب التي يجهزها لها زوجها، أو أخوها، أو بعض محارمها، ثم لا مانع بأن تتخذ يوماً تدعو النساء للحضور عندها، أو تخرج هي للحضور في دار إحداهن، وذلك خير من أن تخرج الجماعة من النساء، أن تخرج واحدة إليهن خير لهن من أن يخرجن كلهن إليها، أما أن تنطلق وتسافر وربما تسافر بغير محرم، ويسوغ لها ذلك أنها خرجت للدعوة، هذه من بدع العصر الحاضر لا أخصُّ بذلك النساء فقط، بل حتى الشباب الذين أولعوا بالتحدث بالدعوة وهم بَعْدُ في ضحضاح من العلم.

□□□

● سؤال ٤:

هناك حديث، يقول: "بارك اللّه في المرأة الملساء" وحديث: "إنكم في زمان: من ترك عُشراً لدينه: فقد نجا" ما مصدرهما؟ وما مدى صحتهما؟

□□□

○ جواب ٤:

أما الحديث الأول: «بارك اللّه في المرأة الملساء»؛ هذا حديث لا أصل له، ولا يمكن أن يوجد في الشرع مثل هذا التبديل؛ ذلك كون المرأة ملساء، أو كونها مشعرانيّة هذا أمر لا ملك ولا طوق لأحد في أن يكون أملس أو ملساء أو مشعرانيّة، هذا خلق اللّه، وهذا يقابل ببعض

الأحاديث الموضوعة التي فيها ذمٌّ في نوع من البشر، ويصفهم بصفات لا يتميز بها الزنج عن البيض، يمكن يكون مثلاً البيض من هذه الصفات السيئة؛ كما يمكن أن يكون الزنوج، فكون الإنسان يكون أملس أو مشعرانيّاً، كونه أبيض الخلقة أو أسود الخلقة تماماً ككونه طويلاً أو قصيراً، لا يمدح ولا يذم بشيء من ذلك، ولا سيما والقضية نسبية، بعضنا ينظر إلى الزنوج نظرة ازدراء؛ لسواد أبدانهم، الزنوج وقد ينظر بعض الزنوج إلى البيض النظرة نفسها، وفي عبارة معروفة يسمونهم: «الزنبرص» يعني: أبرص.

هذه قضايا نسبية، يستحيل بالنسبة للإنسان الكامل أن يربط مدحاً أو قدحاً في شيء لا يملكه الإنسان، إنما المدح والقدح يكون فيما يصدر من هذا الإنسان المكلف، سواء كان أبيض، أو أسود، أملس أو أشعر.

أما حديث: «أنتم في زمان من ترك في عُشر ما أمر به هلك..»؛

فهذا الحديث رواه الترمذي بإسناد ضعيف، وقد رواه بعضهم بلفظ آخر، وهو مخرّج في «سلسلة الأحاديث الصحيحة».

□□□

● سؤال ٥:

هل يجوز للمرأة أن تتصرف في مالها بغير إذن زوجها، وإذا علمت المرأة مسبقاً أن زوجها لا يوافق بالتصرف في مالها وإن كان للصدقة، وكذا تصرّفها بحليِّها الذي اشترته من مالها من غير إذنه؛ فما الحكم؟

□□□

○ جواب ٥:

الحكم واضح في هذا الأمر، وهو قوله عليه الصلاة والسلام: «لا يجوز لامرأة أن تتصرف في مالها إلا بإذن زوجها».

وهو حديث حسن صحيح؛ حسن لذاته، وصحيح لطرقه، وأن كل ما يظن أنه يخالف هذا الحديث؛ فليس يصح الاعتماد عليه وادعاء أنه مخالف للحديث.

وأما حديث تصدق النساء بالخواتم والأقراط ونحو ذلك؛ كما في «الصحيح» فإن هذا يجاب عنه من وجوه كثيرة:

منها: أنه يمكن أن يكون ذلك التصدق بإذن من أزواج النساء.

ويمكن أن يكون ذلك بعد أن يستقر هذا الحكم الذي جاء في الحديث .

ولذلك فننصح كل امرأة مسلمة ملتزمةللعمل بالكتاب والسنة أن لا تتصرف في مالها بغير إذن زوجها ؛ لأن ذلك يكون مدعاةً وسبباً لإثارة الخلافات بين الزوجين ، وقد يكون عاقبةُ ذلك سيئة جداً .

وإذا كان هناك زوج جبار ظالم لزوجته ، فهي تستطيع أن ترفع أمرها إلى القضاء الشرعي وبخاصة أن القضاء الشرعي اليوم للنساءوبصورة أخص في هذه المسألة كلّهم متفق أن للمرأة أن تتصرف في مالها بدون إذن زوجها ؛ فإذا رفعت الأمر إلى القضاء ، وحكم القاضي بأن هذا اعتداء من الزوج على الزوجة ، ولها أن تتصرف في مالها ، إلا إذا كان الزوج يرى أنها مسرفة وحينئذٍ القاضي سيمنعها ولو كان يتبنى أن الأصل في هذه المسألة الحل ، وجواز التصرف ، لكن سوف لا يسمح لها أن تتصدق تصدّقاً يوقعها في الإسراف ، وتبذير المال ، والله أعلم .

إذا ثبتت الأصول في القلوب نطقت الألسن بالفروع.

ولا يظهر الود السليم إلا من القلب المستقيم.

التحرير

المخرج من المحنة

تموج في الناس اليوم فتن كثيرة ، ومحن خطيرة ، لا يعرفون لهم طريقاً يخرجون منها ، ولا يعلمون لهم سبيلاً ينقذهم من بين براثنها :

فبعض هذه المحن اقتصادية ؛ شلّت بها حركتهم ، وخارت منها قواهم .

وبعض هذه المحن اجتماعية ؛ دمرت من خلالها أخلاقهم ، وعُطّلت عبرها مصالحهم .

وبعض هذه المحن فرديَّة ؛ ذهبت نتيجتها عقولهم ، وانمحت إثرها تواريخهم .

وهذا كله - مُجْتَمِعاً -انعكس على وجودهم ، وصار أثراً مؤثراً في كيانهم ؛ فصار (هؤلاء) -جرّاء ذلك- أُلعوبة بأيدي أعدائهم ، وأُرجوحة تروح وتجيء كما تأخُذها الريح(!)

ينظرون يميناً . . . لعلهم يجدون ملجأ أو مغارات .

ينظرون شمالاً . . . لعلهم يرون مفرّاً أو وزراً .

ينظرون أمامهم . . . لعل طريقاً تسلك بهم للنجاة .

ينظرون خلفهم . . . لعل فارساً على حصان أبيض يشق الأرض ليتناوشهم .

ينظرون إلى فوق . . . إلى باب يُفتح من السماء يكون فيه مخرج مما هم فيه .

وينظرون إلى تحت لعل الأرض تبتلعهم ؛ ليعيشوا في العوالم (السفلية) حياة خيراً مما هم عليه .

أوهام يعيشون عليها .

أوهام يؤمّلون أنفسهم بها .

أوهام ينعشون فيها خيالاتهم .

وكل ذلك هباء . . . يطير في الهواء .

الحل أيها القوم بين أيديكم ، وأمام نواظركم ، وجاهز بانتظاركم :

فهل من مقبل إليه؟!

وهل من سائر عليه؟!

إنه الإسلام ، دين الله الخالد ، دستور الخلائق ، وهادي البشرية ، ومصلح الأكوان .

ومن عجب ـ والعجائب كثيرة ـ أنّهم جربوا الكثير الكثير . . . من شيوعية ، إلى بعثية ، إلى قومية ، إلى إقليمية ، إلى وطنية ، إلى ديمقراطية ، إلى (دكتاتورية) . . . فلم يجد ذلك فيهم شيئاً ، ولم يصلح لهم شأناً ، بل (هم) جميعاً في ازدياد من السوء ؛ وعلى جميع الاتجاهات والنواحي ، ماديّة ، ومعنوية ، واجتماعية ، واقتصادية ، وأخلاقية . . . إلخ .

﴿وَمَنْ يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين . وإنهم لَيَصُدُّونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون . حتى إذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين . ولن ينفعكم اليوم إذْ ظلمتم أنفسكم أنكم في العذاب مشتركون . أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين . فإما نذهبن بك فإنا منهم منتقمون أو نُرِينّك الذي وعدناهم فإنا عليهم مقتدرون . فاستمسك بالذي أُوحي إليك إنَّك على صراط مستقيم . وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تُسألون﴾ .

ذِكر لك ولقومك . . . «شرف لك ولقومك»[1] .

وسوف تسألون : «عن هذا القرآن ؛ وكيف كنتم في العمل به والاستجابة له؟!»[2] .

فمن أعرض : فالنار موعده ، الذل مصيره ، والهوان مآله . . .

﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى . قال ربي لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً . قال كذلك أتتك

---

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ١٩٥) .

(٢) «المصدر نفسه» (٤/ ١٩٥) .

آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى﴾ .

فلو ملأ الأسماع صوته في الدنيا فهو منسي في الآخرة .

ولو ملأ الدنيا ضجيجاً بإعلامه وأتباعه فهو مخذول في الآخرة .

ولو ملأ الدنيا صَخَباً بخطبه ، فهو كأمثال صغار النمل -يوم القيامة- يوطأ تحت أقدام المؤمنين المفلحين . . . يقاد إلى سجن بولس فوقه نار الأنيار .

هذه هي المعادلة ، وهذه هي الموازنة ، وهذه هي أوجه المقابلة .

عمل بالكتاب والسنة . . فوز ونجاة .

إعراضٌ ، وتحكم ، وظلم . . بوار مسبت .

﴿الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم أولئك شر مكاناً وأضل سبيلاً﴾ .

فأيهم أقوم قيلاً وأحسن مقيلاً؟!

قال الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله:

"إذا زهدت القلوب في موائد الدنيا؛ قعدت على موائد الآخرة بين أهل تلك الدعوة.

وإذا رضيت بموائد الدنيا؛ فاتتها تلك الموائد".